



جمهورية تركيا
جامعة تشانكري كارا تكين
معهد العلوم الاجتماعية
العلوم الإسلامية الأساسية

عنوان الأطروحة
آياتُ المُلْكِ وسُبُلُ التمكينِ
من خلال سورة يوسف عليه السلام
مُعَدُّ الأطروحة
بشرى سبهان خلف الدوري

أطروحة ماجستير
إشراف
د. حنان عكو

تشانكري – 2022

جمهورية تركيا
جامعة تشانكري كارا تكين
معهد العلوم الاجتماعية
العلوم الإسلامية الأساسية

عنوان الأطروحة

آياتُ المُلْكِ وسُبُلُ التَّمَكِينِ
من خلال سورة يوسف عليه السلام

مُعَدُّ الأطروحة
بشرى سبهان خلف الدوري

ORCID: 0000-0002-954-0075

أطروحة ماجستير

إشراف

د. حنان عكو

تشانكري – 2022

المحتويات

II	بيان أخلاقيات البحث العلمي.....
VI	TEZ KABUL VE ONAY
V	ملخص الأطروحة.....
IV	Tez Özeti
VII	ABSTRACT
VIII	الرموز المستخدمة.....
1	١. تمهيد حول معنى المُلْك والتمكين والفرق بينهما.....
14	٢. الفصل الأول: الرؤية الموضوعية في آيات الملك والتمكين ويشتمل على مبحثين: 14
15	١, ٢. المبحث الأول: موضوع السورة والآيات المخصوصة بالملك والتمكين: 15
15	١, ٢, ١. المطلب الأول - التعريف بالسورة الكريمة وموضوعاتها: 15
23	١, ٢. المطلب الثاني : آيات الملك والتمكين، والمراحل التي مرَّ بها يوسف عليه السلام. 23
26	٢, ٢. المبحث الثاني: المراحل التي مرَّ بها يوسف عليه السلام: 26
27	١, ٢, ٢. المطلب الأول: في حجر يعقوب: 27
29	٢, ٢, ٢. المطلب الثاني: عند العزيز: 29
32	٢, 3. المطلب الثالث: في السجن: 32
37	٢, 4. المطلب الرابع: في المُلْك: 37
41	٣. الفصل الثاني: الرؤية الفكرية في آيات الملك والتمكين: 41
42	٣, 1. المبحث الأول: المعاني المستقاة من آيات الملك والتمكين: 42
49	٢, ٣. المبحث الثاني: مراتب التمكين: 49
62	٣, ٣. المبحث الثالث: الثمرات المتحققة لسيدنا يوسف عليه السلام: 62

٤. الفصل الثالث: الرؤية الفنية في آيات الملك والتمكين:.....	69
٤,١. المبحث الأول: الحدث:.....	72
٤,٢. المبحث الثاني: الشخصيات:.....	80
٤,٣. المبحث الثالث: الصورة والتركيب:.....	89
الخاتمة.....	93
المصادر والمراجع.....	98
KİŞİSEL BİLGİLER.....	107

بيان أخلاقيات البحث العلمي

أصرح بأنني قد التزمت بالأخلاقيات العلمية والقواعد الأكاديمية أثناء إعدادي لأطروحة الماجستير المعنونة "آيات المُلْك و سُبُل التمكن من خلال سورة يوسف عليه السلام" وذلك ابتداءً من مرحلة تقديم الاقتراح إلى مرحلة انتهائي من هذه الدراسة، وأن المعلومات المذكورة في الأطروحة حصلتُ عليها ضمن إطار الأخلاقيات والتقاليد العلمية، وأنني قمتُ بذكرها، والإشارة إلى جميع المصادر والمراجع التي اقتبستُ منها؛ سواء بشكل مباشر أو غير مباشر في هذه الدراسة التي أعدتها، وفقاً لقواعد كتابة الأطروحة، وأصرح بأن جميع المصادر والمراجع التي لجأتُ إليها هي تلك الموضحة في قسم المصادر والمراجع.

بشرى سبهان خلف الدوري



ÇANKIRI KARATEKİN ÜNİVERSİTESİ
SOSYAL BİLİMLER ENSTİTÜSÜ MÜDÜRLÜĞÜNE

Bushra Sabhan Kalaf ALDOUR tarafından hazırlanan “*Yusuf Suresi aracılığıyla kralın işaretleri ve güçlendirme yolları, barış onun üzerine olsun* “ başlıklı bu çalışma, 13.12.2022 tarihinde yapılan tez savunma sınavı sonucunda *oybirliği* ile başarılı bulunarak jürimiz tarafından *Temel İslam Bilimleri* Anabilim Dalı’nda Yüksek Lisans tezi olarak kabul edilmiştir.

TEZ JÜRİSİ ÜYELERİ (Unvanı, Adı ve Soyadı)

Danışman	: Dr. Öğr. Üyesi Hanan AKKO	İmza:
Üye	: Dr. Öğr. Üyesi Hidayet ZERTÜRK	İmza:
Üye	: Dr. Öğr. Üyesi Muhammed El Mehdi RIFAI	İmza:.....

ONAY

Bu Tez, Çankırı Karatekin Üniversitesi Sosyal Bilimler Enstitüsü Yönetim Kurulunun 24/11/2022 tarih ve 2022/52-05-A (19) sayılı oturumunda belirlenen jüri tarafından kabul edilmiştir.

Prof. Dr. Coşkun POLAT

Enstitü Müdürü

ملخص الأطروحة

عنوان الأطروحة : آيات المُلك و سُبل التمكين من خلال سورة يوسف

مُعِد الأطروحة : بشرى سبهان خلف الدوري

المشرف : د. حنان عكو

القسم: العلوم الإسلامية الأساسية

نوع الأطروحة : ماجستير

تاريخ الموافقة : 13.12.2022

تتناول هذه الدراسة "آيات المُلك و سُبل التمكين في سورة يوسف"، وقد تضمنت ثلاثة فصول؛ قدّمت لها بمقدمة حول أسباب البحث ودوافعه وأهميته، ثم مهّدت له بتعريف معنى التمكين و المُلك في اللغة والاصطلاح والفرق بينهما. واحتوى الفصل الأول الذي عنوانته بالرؤية الموضوعية في آيات المُلك و التمكين على مبحثين: المبحث الأول في معرفة موضوع السورة وأسباب النزول وغيره مما تكلم عليه المفسرون، بالإضافة إلى تحديد آيات المُلك و التمكين الخاصة بموضوع البحث، والمبحث الثاني المراحل التي مر بها سيدنا يوسف عليه السلام للوصول إلى المُلك و التمكين. واشتمل الفصل الثاني الذي عنوانته بالرؤية الفكرية في آيات المُلك و التمكين على ثلاثة مباحث تكلمت في المبحث الأول على المعاني المستقاة من آيات المُلك و التمكين مثل الصبر والعدل والعلم، وتناولت في المبحث الثاني مراتب التمكين، ودرست في المبحث الثالث الثمرات التي تحققت لسيدنا يوسف عليه السلام. وتضمّن الفصل الثالث الذي كان عنوانه الرؤية الفنية في آيات المُلك و التمكين ثلاثة مباحث: تحدثت في المبحث الأول عن الشخصيات ورموزها، وعالجت في المبحث الثاني الحدث الدرامي وعناصره، وخصصت المبحث الثالث لدراسة الصورة ومكانها. وختمتُ البحث بخاتمة ذكرت فيها أهم النتائج، ثم جعلت مسرداً للمصادر والمراجع التي استعنت بها في هذا البحث وعلى الله تعالى اعتمادي، والحمد لله رب العالمين.

الكلمات المفتاحية: التفسير، آيات، سُبل التمكين، سورة يوسف، المُلك.

TEZİN ÖZETİ

Tezin adı	: İktidar ve yönetim İle İlgili Âyetler ve Yusuf Sûresi Çerçevesinde Temkîn (İlâhî destek ve tevfik) biçimleri.
Tezi Hazırlayan	: Bushra Sabhan Kalaf ALDOUR
Danışman	: Dr. Öğr. Üyesi Hanan AKKO
Bölümü	: Temel İslam Bilimleri
Tezin Düzeyi	: Yüksek Lisans Tezi
Tarih	: 13.12.2022

Bu çalışma Yusuf Sûresinde bulunan iktidara erişme ile ilgili âyetleri ve temkin biçimlerini ele almaktadır. Tezimiz üç bölüm ile bu konuyu araştırmama neden olan etkenlerle konunun önemini anlattığım bir önsözden oluşmaktadır. İlk olarak “temkin” ve “mülk” kavramlarının sözlük ve ıstılâh anlamlarını tanımlayıp, aralarındaki farkı belirterek konuya giriş yaptım. “Mülk ve temkin âyetleri konusuna objektif bir yaklaşım” başlığını verdiğim birinci bölümde iki konu işledim. Birincisi, konumuz olan mülk ve temkin âyetlerinin tespitinin yanı sıra; “sûre”, “esbâb-ı nüzul” konusu ile tefsircilerin ele aldıkları benzer diğer konuların anlaşılması meselesidir. İkincisi ise Yusuf Aleyhisselâm’ın mülk ve temkine ulaşmaya kadar kat etmiş olduğu aşamalarıdır. “Mülk ve temkin Âyetleri Hakkında Düşünsel Bir Yaklaşım” başlığını taşıyan ikinci bölümde ise üç ana konuyu ele aldım: Birincisi, mülk ve temkin âyetlerinden çıkarılmış olan sabır, adalet, ilim gibi anlam ve kavramların irdelenmesidir. İkincisi ise temkinin derece ve aşamalarının ele alınmasıdır. Yusuf Aleyhisselâm’ın elde ettiği ürün ve sonuçlar, üçüncü ana başlığımızı oluşturdu. “Mülk ve Temkin Âyetleri Konusuna Sanatsal bir yaklaşım” başlığını taşıyan üçüncü bölümde de aynı şekilde üç konuyu ele alarak irdledim. İlk olarak önemli kişilikleri ve sembollerini işledim. İkinci olarak dramatik olgu ve bileşenlerini ele aldım. Üçüncü başlığı da suret/görünüm ve dâhilî özelliklerine ayırdım. Çalışmamı bir sonuç bölümü ile bitirdim; burada çalışmada ulaştığım önemli sonuçları sıraladım. Son olarak bir kaynakça ile yararlandığım kaynakları ekledim. Bütün dayanağım ve güvencem Yüce Allah’tır. Hamd olsun âlemlerin rabbi olan Allah’a.

Anahtar kelimeler: Tefsir, âyetler, temkin yol ve yöntemleri, Yusuf Sûresi, Mülk.

ABSTRACT

Thesis Title	: Verses Related to Power and Administration and forms of Temkîn (Divine support and tawfiq) within the framework of Surah Yusuf
Author	: Bushra Sabhan Kalaf ALDOUR
Supervisor	: Asst. Prof. Dr. Hanan AKOO
Department	: Department of Basic Islâm Sciences
Thesis Type	: Master's Thesis
Date	: 13.12.2022

This study deals with "The Signs of Sovereignty and the Ways of Empowerment in Surat Yusuf", and it includes three chapters; I presented her with an introduction about the causes, motives, and importance of the research, and then paved the way for it by defining the meaning of empowerment and ownership in language and terminology, and the difference between them. The first chapter, which I titled "Objective Vision in the Verses of Sovereignty and Empowerment," contained two chapters: the first chapter on knowing the subject of the surah and the reasons for its revelation and other things that the commentators talked about, in addition to defining the verses of kingship and empowerment related to the subject of the research, and the second chapter included the stages through which our master Yusuf, peace be upon him, went through to reach the conclusion. Ownership and empowerment. The second chapter, which I titled Intellectual Vision in the Verses of Sovereignty and Empowerment, included three topics. In the first topic, I spoke about the meanings derived from the verses of sovereignty and empowerment, such as patience, justice, and knowledge. In the second topic, I dealt with the levels of empowerment, and in the third topic, I studied the fruits that were achieved for our master Yusuf, peace be upon him. The third chapter, which was titled The Artistic Vision in the Verses of Kingship and Empowerment, included three topics: I spoke in the first topic about characters and their symbols, and in the second topic I dealt with the dramatic event and its elements, and I devoted the third topic to studying the image and its sources. I concluded the research with a conclusion in which I mentioned the most important results, and then made a glossary of the sources and references that I used in this research.

Keywords: interpretation, verses, means of empowerment, Surat Yusuf, the King.

الرموز المستخدمة

ت: توفي

تح: تحقيق

د.ت: دون تاريخ

د.ط: دون طبع

ط: طبعة

ه/م: هجري/ميلادي

إهداء

إلى من شرفني بحمل إسمه ، صاحب السيرة العطرة ، والفكر المستنير (والدي

الحبيب)

إلى نور عيني وضوء دربي ومهجة حياتي أمي ثم أمي ثم أمي ، صاحبة البصمة

الصادقة في حياتي ، حفظها الله ورعاها

إلى زوجي العزيز أشكره جزيل الشكر لوقوفه إلى جانبي كي أحقق طموحي

إلى السند والعضيد والساعد إخوتي وأخواتي

إلى كل من مد يد العون والمساعدة في إنجاز هذا البحث المتواضع

أزف لكم الاهداء حباً ورفعة وكرامة

الباحثة

بشرى سبهان خلف

شكر وتقدير

قال تعالى (وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ) لقمان : ١٢

أحمد الله تعالى حمداً كثيراً طيباً مباركاً ملئ السماوات والأرض على ما أكرمني به

من إتمام هذه الدراسة التي أرجو أن تنال رضاه .

ثم أتوجه بجزيل الشكر وعظيم الامتنان إلى كل من :

● الدكتورة الفاضلة / حنان عبد الحميد عكو ، حفظها الله لتفضلها الكريم

بالإشراف على هذه الرسالة ، وتكريمها بنصحي وتوجيهي حتى إتمام هذه الرسالة

● أعضاء لجنة المناقشة الكرام : الدكتور محمد المهدي الرفاعي مناقشاً خارجياً

والدكتور هداية زرتوك مناقشاً داخلياً ، حفظهما الله لتفضلهما بقبول مناقشة هذه

الرسالة

والحمد لله رب العالمين أولاً وأخيراً ظاهراً وباطناً ، عدد خلقه ورضا نفسه وزنة
عرشه ومداد كلماته ، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.



المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وخاتم النبيين، ورحمة الله للعالمين، سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

فإنَّ من سنن الله تعالى الثابتة في كل زمان ومكان، سنَّة التمكين لأنبيائه وأوليائه، مهما نزلت بهم المصائب والبلايا، واشتدت عليهم الخطوب والمحن، ينصر رسله ولو بعد حين، ويعز أوليائه ويرفعهم في أعلى عليين، وهذه السنَّة لها أسبابها التي تسبقها، ومظاهرها التي تترافق معها، ونتائجها التي تلي أحداثها، وهذه السنَّة تدفع المتفكرين لسلوك سبل الأنبياء والأولياء والصالحين، والتعرُّف على آثارهم في الرخاء والشدة، للتمسك بها، تجنباً لمصائر الأمم التي هلكت بسبب الظلم والطغيان، وهذه الظاهرة؛ أي: سنة التمكين مترافقة مع المُلْك، تجلَّت أعظم تجلٍّ في شخصية سيدنا يوسف عليه السلام، مما دفعني وحفزني على الوقوف عليها؛ ودراسة الآيات المتعلقة بها، فجاء هذا البحث الموسوم بـ " آيات المُلْك وسُبل التمكين من خلال سورة يوسف" لفهم هذه الظاهرة والوقوف على أسبابها ونتائجها، سائلة المولى عز وجل أن يلهمني السداد والتوفيق، إنه ولي ذلك والقادر عليه، والحمد لله رب العالمين.

الدوافع: مما دفع لاختيار هذا البحث أسبابٌ عدة وهي:

1-تبين سنَّة من سنن الله تعالى وهي: سنة التمكين لأهل الإيمان في الأرض، لأنها السبيل لإقامة العبودية المطلقة لله تعالى. كما قال تعالى: (الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ).

2-إبراز الأسباب الحقيقية للتمكين، وكيفية الوصول إليه من خلال معرفة سُبله وأسبابه .

3-إظهار الجانب الإيماني في حياة يوسف عليه السلام, ودوره في إعانته على تخطي جميع الصعاب التي مرَّ بها في حياته, ثم وصوله إلى سُدَّة الحكم, وما هذه النتيجة إلا سُنَّة من سنن الله تعالى.

أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى :

- 1-تعريف معنى المُلْك والتمكين وإظهار الفرق بينهما.
- 2- إبراز الرؤية الموضوعية وتحديد الآيات التي هي موضوع هذا البحث.
- 3-إيضاح الرؤية الفكرية التي تتحدث عن مراتب التمكين ومعانيه وثمراته .
- 4-بيان أسباب التمكين ومظاهره في سورة يوسف عليه الصلاة والسلام من خلال الرؤية الفنية.

صعوبات البحث:

من المصاعب التي واجهتني أثناء إعداد هذا البحث وكتابته:

1 - قلة البحوث والدراسات التي تتكلم عن موضوع الملك والتمكين، باستثناء دراسة واحدة من تأليف الدكتور علي الصلابي خصها بدراسة فقه التمكين في القرآن الكريم.

2 - طبيعة السورة نفسها، فهي تشتمل على قصة متشابكة الأحداث والوقائع، فكان لابد من الرجوع إلى الكثير من الكتب التفسير، من أجل فهم جوانبها المتعددة، لكي لا أخرج عن خط سير البحث والموضوع.

الدراسات السابقة:

تعدُّ سورة يوسف ذات نبأ عجيب؛ إذ ما زال العلماء يستنبطون منها المعاني الغزيرة عَصراً بعد عصرٍ وزماناً بعد زمان، والقرآن الكريم بحر زخارٌ لا تنضب موارده، فكانت هنالك دراسات لغوية وثانية بيانية وثالثة أدبية حول السورة، ومن تلك الدراسات التي تناولت الجانب القصصي في القرآن الكريم بشكل عام: الأسلوب القصصي في القرآن الكريم وتطبيقاته/رؤية أدبية لمسفر بن أحمد الوادعي، صدر عن مؤسسة الانتشار العربي، ومنها ما اختص بسورة يوسف عليه السلام ومنها: سورة يوسف/دراسة تحليلية، لأحمد نوفل، صدر عن دار الفرقان بالأردن، وكتاب: قصة يوسف عليه السلام في القرآن الكريم/دراسة أدبية، لمحمد رشدي عبيد، الذي صدر عن مكتبة العبيكان بالرياض، وغير ذلك من الأبحاث والكتب، وعلى الرغم من كثرة الدراسات التي عبّدت الطريق للدارسين حول السورة الكريمة، إلا أن فكرة هذا البحث طريفة، لم يتطرق إليها أحد من الباحثين قبلي، لذلك كله أسأل الله النفع والسداد فيما أقدمه، والله سبحانه ولي التوفيق.

خطة البحث:

اقتضت طبيعة الموضوع تقسيم البحث إلى ثلاثة فصول، وعدد من المباحث والمطالب، تتقدمها مقدمة وتمهيد، وتنتهي بخاتمة ومجموعة من النتائج وفق الآتي:

المقدمة

أسباب ودوافع البحث

أهداف الدراسة

الصعوبات

الدراسات السابقة

تمهيد حول معنى الملك والتمكين والفرق بينهما.

الفصل الأول: الرؤية الموضوعية في آيات الملك والتمكين: وفيه مبحثان:

المبحث الأول: موضوع السورة والآيات المخصصة بالملك والتمكين: وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التعريف بالسورة الكريمة وموضوعاتها.

المطلب الثاني: آيات الملك والتمكين.

المبحث الثاني: المراحل التي مرَّ بها يوسف عليه السلام: وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: في حجر يعقوب.

المطلب الثاني: عند العزيز.

المطلب الثالث: في السجن.

المطلب الرابع: في الملك.

الفصل الثاني: الرؤية الفكرية في آيات الملك والتمكين: وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: المعاني المستقاة من آيات الملك والتمكين.

المبحث الثاني: مراتب التمكين.

المبحث الثالث: الثمرات المتحققة لسيدنا يوسف عليه السلام.

الفصل الثالث: الرؤية الفنية في آيات الملك والتمكين: وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الوقائع والأحداث والمحن.

المبحث الثاني: الشخصيات

المبحث الثالث: الصورة والتركيب.

خاتمة البحث ونتائجه.

فهرس المصادر والمراجع.

تمهيد حول معنى المُلْك والتمكين والفرق بينهما

أولاً: معنى كلمة المُلْك في اللغة والاصطلاح.

أولاً: المُلْك لغة: الميم واللام والكاف أصلٌ صحيح يدل على قوةٍ في الشيء، ويعني احتواء الشيء والقدرة على التصرف والاستبداد به¹.

ثانياً: المُلْك اصطلاحاً:

لقد اختلفت تعبيرات العلماء في تعريف المُلْك بناءً على اختلافهم في حقيقة ما يعتبر ملكاً أم لا؟ ويمكن إجمالها في ثلاثة اتجاهات، على أن أختار من كل اتجاه تعريفاً واحداً، كما يأتي:

1-الاتجاه الأول: عُرِّفَ المُلْك بأثره وغايته، وهي القدرة على التصرف .

ومثاله: تعريف ابن الهمام الذي عرّف الملك بأنه: القدرة الشرعية على التصرف ابتداءً إلا لمانع².

وبهذا يشمل كل الحقوق التي يكون لصاحبها قدرة التصرف فيها، ويخرج منه كل الحقوق التي لا يكون لصاحبها قدرة التصرف فيها . ومن ذلك حق الشُّفعة³ والخيار⁴.

¹ الرازي، أبو الحسين، *مقاييس اللغة*، تح: عبد السلام محمد هارون، بيروت، دار الفكر، 1979م، 351/5، و ابن منظور الأنصاري الإفريقي، *لسان العرب*، بيروت، دار صادر ط3، 1414هـ، 492/10.

² السيواسي، المعروف بابن الهمام، *فتح القدير للعاجز الفقير*، بيروت، دار الفكر، د.ت.ط 248/6.

³ الشُّفعة: ج شُفَع، اسم للعقار المشفوع أي: تملك الجار أو الشريك العقار المباع جبراً عن مشتريه بالثمن الذي تم عليه. ينظر: محمد رواس قلعجي وحامد صادق قنبيبي، *معجم لغة الفقهاء* (بيروت: دار النفائس، 1988م) 264/1.

⁴ الخيار يعني: الاختيار، أي: طلب خير الأمرين، وهو أنواع عديدة منه خيار العقد، وخيار الاستحقاق، وخيار الشرط، وخيار تفريق الصفقة وغيره، ولكل من هذه الأنواع شروطه وأحكامه. رواس قلعجي وحامد صادق قنبيبي، *معجم لغة الفقهاء*، 202/1.

2-الاتجاه الثاني: اهتم بكون المُلْك ما كان عيناً أو منفعةً شرعيةً .

ومثاله تعريف الإمام القَرَافي: حيث عرّفه بأنه: حكم شرعي مُقدَّر في العين أو المنفعة يقتضي تمكن من يضاف إليه من الانتفاع به والعَرَض عنه⁵ .
وبهذا يشمل كل الأعيان والمنافع التي يستطيع صاحبها الانتفاع فيها, كحق الولاية .

3-الاتجاه الثالث: اهتم عند تعريفه المُلْك بذكر حقيقته, ومن أشهر التعريفات وأبرزها تعريف الإمام ابن نُجيم بأنه الاختصاص الحاجز⁶ . أي: الاختصاص به. المانع لغير مالكة من الانتفاع به, أو التصرف فيه إلا عن طريقه, أو بسببه, أو عن طريق الشارع.

ومنه تعريف الراغب بأنه: ضبط الشيء المتصرف فيه بالحكم, والملِك كالجنس للملِك فكلُّ ملِكٍ ملِك, وليس كل ملِك ملِكاً⁷, وأيضاً اسمٌ لما يُمْلِك ويُتَصَرَّف. وفي البدائع: الملِكُ شرعاً اختصاص العمل في التصرف. والمالِكُ: صاحبُ الملِك⁸.

ونستنتج من التعريفات السابقة أن معنى الملِك لغوياً لا يخرج كثيراً عن المعنى الاصطلاحي, وإن حدده الفقهاء بشروط وأحكام تجري عليه, فالملِك يشمل الأعيان الحسية والمنافع الشرعية التي يقدر صاحبها على التصرف فيها كما يشاء, والحكم بها متى شاء.

ثانياً: التمكين في اللغة والاصطلاح:

⁵ القرافي, أنوار البروق في أنواء الفروق : (بيروت: عالم الكتب, د. ت. ط) 208/3.
⁶ نجيم المصري, الأشباه والنظائر على مذهب أبي حنيفة الثُّعْمَانِي, تح: زكريا عميرات (بيروت: دار الكتب العلمية, ط1, 1999م), 1/299.
⁷ الحسين بن محمد الأصفهاني الراغب, المفردات في غريب القرآن, تح: صفوان عدنان الداودي, (دمشق: دار القلم/ الدار الشامية, ط1, 1412هـ) 1/775.
⁸ محمد عميم الإحسان المجددي البركتي, التعريفات/الفقهية, (بيروت: دار الكتب العلمية, ط1, 2003م),

* التمكن لغة:

الدلالة اللغوية لكلمة "التمكن": تمكن [مفرد]: مصدر مَكَّنَ/ مَكَّنَ له. تمكن المستأجر من العين المؤجرة: (قن) تخويله السلطة عليها إمّا بالإقامة فيها أو باستغلالها⁹. وقال صاحب اللسان: "إن بني فلان لذو مَكْنَةٍ من السلطان أي تمكن.. والمكنة إنما هي بمعنى التمكن مثل الطلبة بمعنى التطلب، والتبعة بمعنى التتبع، يقال: إن فلاناً لذو مَكْنَةٍ من السلطان، فسمي موضع الطير مَكْنَةً لتمكنه فيه"¹⁰. وقال ابن سيده: "والمكانة المنزلة عند الملك؛ والجمع مكانات ولا يجمع جمع تكسير وقد مَكَّنَ مكانة فهو مكين، والجمع مكناء، وتمكَّنَ كَمَكَّنَ. وتمكن من الشيء واستمكن ظفر، والاسم من كل ذلك المكانة"¹¹. وقال صاحب المفردات عند مادة "مَكَّنَ": "المكان عند أهل اللغة الموضع الحاوي للشيء، وعند بعض المتكلمين أنه عرض وهو اجتماع جسمين حاوٍ ومحويٍّ، وذلك أن يكون سطح الجسم الحاوي محيطاً بالمحوي، فالمكان عندهم هو المناسبة بين هذين الجسمين، قال: (مَكَّنَا سُؤْيَ) ¹² - (وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَّنَا ضَيْقًا) ¹³ ويقال: مَكَّنْتُهُ ومكنت له فتمكن. قال: (وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ) ¹⁴ - (وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِيْمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ) ¹⁵ - (أَوَلَمْ نُمْكِّنْ لَهُمْ) ¹⁶ - (وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ) ¹⁷. وأمكنت فلاناً من فلان ويقال: مكان ومكانة، قال تعالى: (اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ) ¹⁸ .. وقرئ: "على مكاناتكم"¹⁹. وقوله:

⁹. أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت ١٤٢٤ هـ)، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، ط١٤٢٩، 1، هـ - ٢٠٠٨ م (2115/3)

¹⁰ ابن منظور الإفريقي أبو الفضل، لسان العرب: (بيروت: دار صادر، ط3، 1993م)، 415-412/13. ¹¹ ابن سيده المرسى، المحكم والمحيط الأعظم: تج: عبد الحميد هندواوي، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1 2000م) 71/7.

¹² طه: 58/20.

¹³ الفرقان: 13/25.

¹⁴ الأعراف: 10/7.

¹⁵ الأحقاف: 26/46.

¹⁶ القصص: 57/28.

¹⁷ النور: 55/24.

¹⁸ الأنعام: 135/6.

¹⁹ أبو علي الفارسي، الحجة للقراء السبعة، تج: بدر الدين قهوجي وبشير جويجاني (دمشق/بيروت: دار المأمون، ط2، 1993م) 406/3.

(ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ²⁰) أي متمكن ذي قدر ومنزلة، ومَكْنَات الطير ومَكْنَاتُها مقارُوه²¹.

* التمكن اصطلاحاً:

التمكن: «هو أن لا ينازع الممكن منازع فيما يراه ويختاره»: لباب التأويل²².

وهناك تعريف آخر لإبن عرفة «التمكن هو القدرة على الفعل»²³ وعرفه الإمام الشافعي: فقال الشافعي رحمه الله: «التمكن درجة الأنبياء، ولا يكون التمكن إلا بعد المحنة، فإذا امتحن صبر، وإذا صبر مكن، ألا ترى أن الله عز وجل امتحن إبراهيم عليه السلام ثم مكنه، وامتحن سليمان عليه السلام، ثم مكنه، وآتاه ملكاً، والتمكن أفضل الدرجات»²⁴.

التمكن كمصطلح قرآني: هو "مقام الرسوخ والاستقرار على الاستقامة، وما دام العبد في الطريق فهو صاحب تمكن لأنه يرتقي من حال إلى حال، ويتنقل من وصف إلى وصف، فإذا وصل اتصل فقد حصل التمكن"²⁵. ومن خلال استقراء المواضع التي وردت فيها كلمة التمكن بمشتقاتها المختلفة في القرآن الكريم، نستنتج أنها وردت في عدة معانٍ، لا تخرج عن معناها اللغوي في كثير من الأحيان، ومن هذه المعاني:

1- التمكن بمعنى الملك والسلطان:

²⁰ التكوير: 20/81.

²¹ الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، 471.

²² الخازن ٥٣٦/٢.

²³ تفسير ابن عرفة، ٣٥٨/١.

²⁴ تفسير الإمام الشافعي ٩٧٨/٢.

²⁵ علي بن محمد الجرجاني، التعريفات: (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1983م)، 67.

قال جلّ ذكره في شأن ذي القرنين: (إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ)²⁶ قال ابن كثير:
"أي أعطيناه

ملكاً عظيماً مُتَمَكِّناً فيه من جميع ما يُعطى الملوك من التمكين والجنود..²⁷

ومن هذا القبيل قوله تعالى: (الَّذِينَ إِن مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ)²⁸، قال عبد الرحمن السعدي في تفسيره: "أي مَلَكْنَاهُمْ إِيَّاهَا وجعلناهم المتسلطين عليها، من غير منازع ينازعهم، ولا معارض"²⁹.

2 - التمكين بمعنى المنزلة عند الملك:

قال تعالى في شأن نبي الله يوسف على نبينا وعليه الصلاة والسلام: (وَقَالَ الْمَلِكُ انْتُؤْنِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ)³⁰، وقال تعالى في جبريل عليه السلام: (ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ)³¹، وكذلك قال تعالى في نبي الله شأن يوسف على نبينا وعليه الصلاة والسلام: (وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُونَ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ)³²، ويفسر هذا التمكين أنه نصيب من الملك ومنزلة ذات قدر عند الملك³³ كقوله تعالى في آخر السورة على لسان يوسف على نبينا وعليه الصلاة والسلام: (رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ)³⁴

²⁶ الكهف: 84/18.

²⁷ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، تح: سامي بن محمد سلامة، (السعودية: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2، 1999م)، 189/5.

²⁸ الحج: 41/22.

²⁹ السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تح: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، (بيروت: مؤسسة الرسالة، 2000م) 1 / 539.

³⁰ يوسف: 54/12.

³¹ التكوين: 20/81.

³² يوسف: 56/12.

³³ الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن = تفسير الطبري، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، (مصر/السعودية، مركز هجر للبحوث والدراسات، ط1 - 2000م) 64/13.

³⁴ يوسف: 101/12.

3 - التمكين بمعنى التهيئة:

قال تعالى : (أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ) ³⁵ .. أي: أَلَمْ نجعل حَرَمًا ذا أَمْنٍ ³⁶ .

4 - التمكين بمعنى التملك والقدرة:

وهو قريب من المعنى الأول، إلا أنه خاصٌّ بالأرض والمعاش، قال سبحانه وتعالى في كتابه الحكيم: (وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ) ³⁷ . قال الزَّجَّاجُ في معناه: "معنى التمكين في الأرض: التملك والقدرة. ومعنى المعاش يحتمل أن يكون ما يعيشون به، ويمكن أن يكون الوصلة إلى ما يعيشون به" ³⁸ .

5 - التمكين بمعنى الظفر والنصر:

ورد هذا المعنى عند ابن الجوزي في تفسير قوله تعالى: (الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ) ³⁹ قال: " قال المفسرون: التمكن في الأرض: نصرهم على عدوهم، والمعروف: لا إله إلا الله، والمنكر: الشِّرْك" ⁴⁰ .

6 - التمكين بمعنى القرار والثبات:

ذكره الإمام الشوكاني عند تفسير قوله تعالى: (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ) ⁴¹ قال: " والمراد بالتمكين هنا: التثبيت والتقرير، أي: يجعله الله ثابتاً مقررّاً يوسع لهم في البلاد، ويظهر دينهم على جميع الأديان، ذكر

³⁵ القصص: 57/28.

³⁶ ابن الهمام، فتح القدير، 4/179.

³⁷ الأعراف: 10/7.

³⁸ الزجاج، أبو إسحاق، معاني القرآن وإعرابه: تح: عبد الجليل عبده شلبي، (بيروت: عالم الكتب، ط1،

1988م). 320/2.

³⁹ الحج: 41/22.

⁴⁰ ابن الجوزي، أبو الفرج، زاد المسير في علم التفسير: تح: عبد الرزاق المهدي، (بيروت: دار الكتاب

العربي، ط1، 2001م)، 3/241.

⁴¹ النور: 55/24.

سبحانه وتعالى الاستخلاف لهم أولاً وهو جعلهم ملوكاً، وذكر التمكين ثانياً فأفاد ذلك أن هذا الملك ليس على وجه العروض والطرو، بل على وجه الاستقرار والثبات⁴².

*وعرفه قلعه جي اصطلاحاً بأنه: "التخلية ورفع اليد، والتمكين من الشيء الإقدار عليه والإعانة عليه".⁴³

ثالثاً - بيان حقيقة الفرق بين الملك والتمكين:

الظاهر من المعاني اللغوية السابقة لكل من الملك والتمكين مجاله الواسع ولكل منهما تعريفه خاص به، ولكن نجد لأبي هلال العسكري رأياً آخر، فهو يرى بحسب تمييزه بين المعاني اللغوية، أن هناك خيطاً رفيعاً دقيقاً تصلح له اللفظة في التركيب، بما لا تصلح له اللفظة الأخرى، وهذا من أسرار إعجاز القرآن الكريم، المعجز بألفاظه، والمعجز بتراكيبه، والمعجز بألفاظه وتراكيبه معاً، وبحسب هذه النظرية أيضاً يرى أن هناك فرقاً بين التملك والتمكين يكمن في " أن تمكين الحائز يجوز، ولا يجوز تملكه، لأنه إن ملكه الحوز فقد جعل أن يحوز، وليس كذلك التمكين، لأنه مكن مع الزجر، ودل على أنه ليس أن يحوز، وليس كل من مكن من الغصب ملكه"⁴⁴.

ويقول في موضع آخر في التفريق بين المتمكن والقادر: " أن التمكن مضمن بالآلة، والمكان الذي يتمكّن فيه، ولهذا لا تجوز الصّفة به على الله تعالى، وصفة القادر مطلقة لأنه لا يجوز أن يستغني بنفسه عن القدرة كما يستغني بها عن الآلة في الكتابة ونحوها، ويقال: مكنه ومكّن له، قال بعضهم: معناهما واحد، قال: ومنه قوله تعالى: "(مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمْكِنْ لَكُمْ)"⁴⁵ قال: فجاء باللغتين للتوسع في

⁴² الشوكاني، فتح القدير، (دمشق/بيروت: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، ط1، 1993م)، 55/4.

⁴³ محمد رواس قلنجي وصادق قنبي، معجم لغة الفقهاء، 146.

⁴⁴ أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية: تح: محمد إبراهيم سليم، (القاهرة: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، د.ت) 188/1.

⁴⁵ الأنعام، 6/6.

الْكَلَام، والصحيح: أَنْ مَكَنتَ لَهُ جَعَلْتَ لَهُ مَا يَتِمَّكَنُ بِهِ، ومكنته: أقدرته على ملك الشيء في المكان".⁴⁶

ووجد العلامة ابن عادل الحنبلي أن ثمة علاقةً بينهما؛ أي: الملك والتمكين، فعلق على قوله تعالى: (إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا)⁴⁷ بقوله: "ومعنى «مكَّنَّا لَهُ»: أوطأنا، والتمكين: تمهيد الأسباب قال عليٌّ: سَخَّرَ لَهُ السَّحَابَ، فحمله عليه، ومدَّ له في الأسباب، وبسط له في الثَّورِ، وكان اللَّيْلُ والنَّهَارُ عليه سواء، فهذا معنى تمكينه في الأرض؛ وأنه سهَّلَ عليه السير فيها، وذلل له طريقها. وهذا التَّمْكِينُ بسبب النبوة، ويحتمل أن يكون المراد التمكين بسبب الملك من حيث إنه مَلِكٌ مشارق العالم ومغاربه، والأول أولى؛ لأنَّ التمكينَ بسبب النبوة أعلى من التمكين بسبب الملك، وحمل كلام الله تعالى على الوجه الأكمل الأفضل أولى، ثم قال: "وَأَتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا"⁴⁸ قالوا: السبب في أصل اللغة عبارة عن الحبل، ثم استعير لكل ما يتوصل به إلى المقصود، وهو يتناول العلم والقدرة والآلة، فلذلك قيل: "وَأَتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ: ما يستعين به الملوك على فتح المدن، ومحاربة الأعداء «سبباً» أي: علماً يتسبَّب به إلى كل ما يريد ويسير به في أقطار الأرض، وقيل: قَرَّبْنَا لَهُ أَقْطَارَ الْأَرْضِ"⁴⁹.

ومما سبق نخلص إلى أن مادة الكلمة قد استعملت بمعانٍ عديدة متقاربة لا تخرج عن أصل الاستعمال، إلا أن التمكين أشمل وأعظم من الملك، فكل من مُنِيَ بالتمكين فقد ملك، وليس كل ملك متمكن يقول الإمام الشافعي: "التمكين درجة الأنبياء، ولا يكون التمكين إلا بعد المحنة، فإذا امتحن صبر، وإذا صبر مُكِّن، ألا ترى أن الله - عزَّ وجلَّ امتحن إبراهيم عليه السلام ثم مَكَّنَه، وامتحن موسى عليه السلام ثم مَكَّنَه، وامتحن أيوب عليه السلام ثم مَكَّنَه، وامتحن سليمان عليه السلام ثم

⁴⁶ العسكري، الفروق اللغوية، 111/1.

⁴⁷ الكهف: 84/18.

⁴⁸ الكهف: 84/18.

⁴⁹ عمر بن علي بن عادل الحنبلي، أبو حفص، اللباب في علوم الكتاب: تج: عادل عبد الموجود وعلي محمد معوض (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1998م)، 556/12.

مَكَّنْهُ وَآتَاهُ مَلَكًا، وَالتَّمَكِينَ أَفْضَلَ الدَّرَجَاتِ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: "(وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ)"⁵⁰ ، ويجب أن نعلم أن التمكن إما أن يكون فردياً محصوراً في نبي أو قائد، وإما جماعياً حيث يمكّن الله لأمة من الأمم أو دولة من الدول في الأرض. ويمثل سيدنا يوسف عليه السلام نموذج التمكن الفردي، وقد ملّكه الله تعالى حين كان نبياً فوصل إلى درجة الخلافة أعلى درجات التمكن كما سنبين، وهناك دليل آخر على أن التمكن أشمل من الملك وأعظم درجة وهو شمولية معاني هذه الكلمة التي تضم: معنى القدرة على الشيء والظفر به.



⁵⁰ الإمام الشافعي، تفسير الإمام الشافعي: جمع وتح ودراسة: أحمد بن مصطفى الفران، (المملكة العربية السعودية: دار التدمرية، ط1، 2006م)، 978/2.

٢. الفصل الأول: الرؤية الموضوعية في آيات الملك والتمكين ويشتمل على

مبحثين:

المبحث الأول: معرفة موضوع السورة وأسباب النزول

المبحث الثاني: المراحل التي مر بها سيدنا يوسف (عليه السلام) للوصول

إلى الملك والتمكين

وجد بعض الدارسين⁵¹ أن كلّ سورة من سور القرآن الكريم تختص بموضوع واحد، على الرغم من التطرق إلى موضوعات أخرى في ثناياها، وذلك لا يُخلُّ - كما رَأَوْا - بالوحدة الموضوعية، والتي تعني أن يقوم بناء السورة على موضوع واحد، وذلك قصدنا بالرؤية الموضوعية هنا، وتمثل سورة يوسف عليه السلام تلك الرؤية أحسن تمثيل، وذلك لكونها من أكثر السور حرصاً وإلحاحاً على موضوع واحد الذي هو قصة يوسف عليه السلام من مولده إلى وفاته، مع وجود إشارات إلى موضوعات أخرى لها أهداف أخرى مثل التأكيد على الوحدةانية، وإبراز نبوة النبي عليه الصلاة والسلام، وغيرها من الأهداف التي لا يختل معها البناء الموضوعي للسورة، بما فيه من دقة سرد وروعة وصف تُبين عن روعة الإعجاز.

⁵¹ ينظر: محمد محمود حجازي، الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم، القاهرة: دار الكتب الحديثة، 1970م، 6، 40، 111. وينظر: مصطفى مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي، (دمشق/بيروت: دار القلم، ط4، 2005م)، التمهيد 7.

1,2. المبحث الأول: موضوع السورة والآيات المخصصة بالملك

والتمكين:

1.1,2. المطلب الأول - التعريف بالسورة الكريمة وموضوعاتها:

انقسم العلماء والمفسرون هل السورة مكية أو مدنية إلى فريقين:

الفريق الأول: يقول بأن الآية مكية من أول السورة إلى آخرها، ومن القائلين بذلك البغوي⁵²، وابن كثير⁵³، والخازن⁵⁴ رحمهم الله، وساق السيوطي في ذلك أثراً فقال: أخرج النحاس وأبو الشيخ، وابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: نزلت سورة يوسف بمكة⁵⁵. الفريق الثاني: ذهب إلى أن السورة مكية إلا أربع آيات نزلت بالمدينة وهي: (1 و 2 و 3 و 7). ومن القائلين بذلك الإمام الماوردي⁵⁶، والإمام الرازي⁵⁷، وابن عادل الحنبلي⁵⁸ ويستشهدون لذلك برواية ابن عباس وقتادة رضي الله عنهما: مكية إلا أربع آيات منها⁵⁹.

وأما عدد آيات السورة فهي إحدى عشرة ومئة بالاتفاق، وأنها نزلت بعد سورة هود عليه السلام⁶⁰.

أما سبب نزولها فقد اختلفوا في ذلك على قولين لخصهما الإمام ابن الجوزي فقال: أحدهما: روي عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: لما أنزل القرآن على رسول الله ﷺ تلاه عليهم زمانا فقالوا يا رسول الله لو حدثتنا فأنزل الله عز وجل

⁵² البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي: تح: عبد الرزاق المهدي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط1، 1999م)، 473/2.

⁵³ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 365/4.

⁵⁴ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، تصحيح: محمد علي شاهين، (بيروت: دار الكتب العلمية - ط1، 1994م) 510/2.

⁵⁵ السيوطي، جلال الدين، الدر المنثور في التفسير بالمأثور: تح: مركز هجر للبحوث والدارسات، (مصر/السعودية: دار هجر للطباعة والنشر 2003م)، 175/8.

⁵⁶ الماوردي، النكت والعيون = تفسير الماوردي: تح: السيد ابن عبد المقصود، (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت.)، 5/3.

⁵⁷ محمد بن عمر بن الحسن الرازي، فخر الدين، مفاتيح الغيب = التفسير الكبير (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط3، 2001م)، 416/18.

⁵⁸ الحنبلي، اللباب في علوم الكتاب: 3/11.

⁵⁹ الماوردي، النكت والعيون = تفسير الماوردي: 5/3.

⁶⁰ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي: تح: إبراهيم أطفيش أحمد البردوني، (القاهرة: دار الكتب المصرية، ط2 - 1964م)، 117/9، 118/9، وينظر: الرازي، مفاتيح الغيب: 416/18.

اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ لَوْ قَصَصْتَ عَلَيْنَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: "الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ"⁶¹ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: "نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ"⁶².

القول الثاني: رواه الضحاك عن ابن عباس قال: سألت اليهود النبي ﷺ فقالوا: حَدَّثْنَا عَنْ أَمْرِ يَعْقُوبَ وَوَلَدِهِ وَشَأْنِ يُوسُفَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: "الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ"⁶³ الْآيَاتِ الْكَرِيمَةِ⁶⁴. وأضاف ابن عطية سبباً آخر في نزول السورة فقال: "وقيل: سبب نزولها تسليّة رسول الله ﷺ عما يفعله به قومه بما فعل إخوة يوسف بيوسف"⁶⁵.

ونجد في سورة يوسف عليه السلام الأقسام الآتية، التي سوف نتحدث عنها بالتفصيل في المطلب الثاني عند ذكر المراحل التي مرّ بها يوسف عليه السلام وصولاً للتمكين، وهذه الأقسام هي:

1 - افتتاح السورة الكريمة:

ابتدأ الله سبحانه السورة بذكر الأحرف المقطعة، ووصف كتابه بالمبين، وإنزاله بلسان عربي، ووصف هذه القصة بأحسن القصص، وفي تحليل ذلك يقول الإمام القرطبي: "وذكر العلماء لكون هذه القصة أحسن القصص وجوهاً: أحدها: أنه ليست قصة في القرآن تتضمن من العبر والحكم، ما تتضمن هذه القصة؛ لقوله تعالى في آخرها "لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ"⁶⁶.

⁶¹ يوسف، 1/12.

⁶² يوسف، 3/12.

⁶³ يوسف، 1/12.

⁶⁴ ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير: 411/2.

⁶⁵ ابن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: تح: عبد السلام عبد الشافي (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1 - 2001م). 218/3.

⁶⁶ يوسف، 111/12.

وثانيها: لحسن مجاوزة يوسف إخوته، وصبره على أذاهم، وعفوه عنهم بعد التقائهم عن ذكر فعلهم، وكرمه في العفو عنهم، حتى قال: "(لَا تَنْزِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ)"⁶⁷.

وثالثها: أن فيها ذكر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والصالحين، والملائكة، والجن، والشياطين، والإنس، والطير، وسير الملوك، والمماليك، والتجار، والعلماء، والجهال، والرجال، والنساء وحيلهن ومكرهن، وذكر التوحيد، والفقه، والسير، وتعبير الرؤيا، والسياسة، والمعاشرة، وتدبير المعاش، وجمل الفوائد تصلح للدين والدنيا.

ورابعها: أن فيها ذكر الحبيب، والمحبوب، وسيرهما.

وخامسها: أن «أحسن» هنا بمعنى: أعجب.

وسادسها: سُميت أحسن القصص؛ لأن كل من ذكر فيها كان مآله إلى السعادة، وانظر إلى يوسف، وأبيه وإخوته، وامرأة العزيز، قيل: والملك أيضاً أسلم بيوسف، وحسن إسلامه، ومستعبر الرؤيا، والسّاقى، والشّاهد فيما يقال، فما كان أمر الجميع إلا إلى خير، والله تعالى أعلم⁶⁸.

2 - رؤيا يوسف عليه السلام وتأويلها:

تعتبر هذه الرؤيا مدخلاً للقصة العجيبة، قال سبحانه وتعالى: "(إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ)"⁶⁹ "وذكر المفسرون: أن يوسف عليه السلام كان له أحد عشر من الإخوة يُسْتَضَاءُ بهم؛ كما يُسْتَضَاءُ بالنجوم، ففسّر الكواكب: بالإخوة، والشمس والقمر: بالأب والأم، والسجود: بتواضعهم له، ودخولهم تحت أمره"⁷⁰، وقد شغلت مادة الرؤيا الباحثين والمفكرين وتوسعوا في شأنها وربطوها بالقرآن الكريم لا مجال لذكر ما قالوه هنا، إلا أنهم قسموا الرؤيا إلى رؤيا صادقة هي من وحي الله عز وجل، ورؤيا باطلة من

⁶⁷ يوسف، 92/12.

⁶⁸ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي: 120/9.

⁶⁹ يوسف: 4/12.

⁷⁰ الحنبلي، اللباب في علوم الكتاب: 13/11.

الشيطان عبارة عن أضغاث أحلام، قال المازري في خاصيتها وحقيقتها: "مذهب أهل السنة في حقيقة الرؤيا أن الله تعالى يخلق في قلب النائم اعتقادات كما يخلقها في قلب اليقظان وهو سبحانه وتعالى يفعل ما يشاء لا يمنعه نوم ولا يقظة فإذا خلق هذه الاعتقادات فكأنه جعلها علما على أمور أخر يجعلها في ثاني الحال والجميع خلق الله تعالى ولكن يخلق الرؤيا والاعتقادات التي يجعلها علما على ما سر بغير حضرة الشيطان فإذا خلق ما هو علم على ما يضر يكون بحضرة الشيطان فينسب إلى الشيطان مجازاً وإن كان لا فعل له في الحقيقة فهذا معنى قول النبي ﷺ «الرؤيا من الله والحلم من الشيطان»، لا على أن الشيطان يفعل شيئاً والرؤيا اسم للمحسوب والحلم اسم للمكروه»⁷¹.

3 - تدبير المؤامرة وتنفيذها:

هذه المرحلة تبتدئ بقوله تعالى: "إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا نَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ)"⁷² وتنتهي بقوله تعالى: "(وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ)"⁷³، وموضوعها تدبير إخوة يوسف عليه السلام لقتله، دافعهم إلى ذلك الحسد والغيرة، لشدة حب يعقوب عليه السلام له وتعلقه به، ثم إعداد خطة محكمة يستدرجون بها أخاهم للوقوع في شرك مكرهم، أي الخطة المحكمة التي أعدها إخوة يوسف عليه السلام للإيقاع به، واستدراج يعقوب عليه السلام لكي ينفردوا بيوسف، وفيها يحاول الإخوة إقناع أبيهم بترك يوسف للخروج معهم في رحلة صيد، ثم اختلاقهم الأعذار أمام يعقوب عليه السلام بعد تنفيذ المؤامرة الدنيئة وإلقاءه في الحب، بأن يوسف عليه قد أكله الذئب، قال العز بن عبد السلام سلطان العلماء في تفسير قوله تعالى: "(غِيَابَةُ الْحَبِّ)"⁷⁴: "قعره، أو ظلّمته التي تغيب عن الأبصار،

⁷¹ المازري، المعلم بفوائد مسلم: تح: محمد الشاذلي النيفر، (تونس/الجزائر: الدار التونسية للنشر، المؤسسة الوطنية للكتاب بالجزائر، ط2/1988م). 201/3.

⁷² يوسف: 8/12.

⁷³ يوسف: 18/12.

⁷⁴ يوسف: 15/12.

سُمِّيَ غِيَابَةً لَّأَنَّهُ يَغِيبُ فِيهِ أَثَرُهُ، أَوْ خَبْرُهُ، وَكَانَ رَأْسُهُ حَنِيفًا وَأَسْفَلُهُ وَاسِعًا. وَالْجَبُّ بئرٌ فِي بَيْتِ الْمَقْدَسِ، أَوْ بئرٌ غَيْرُ مَعِينَةٍ، أَوْ الْجَبُّ مَا عَظُمَ مِنَ الْآبَارِ سِوَاهُ كَانَ فِيهِ مَاءٌ أَوْ لَمْ يَكُنْ، أَوْ مَا لَا طِيَّ لَهُ لِأَنَّهَا قُطِعَتْ وَلَمْ يَحْدَثْ فِيهَا غَيْرُ الْقَطْعِ"⁷⁵.

4 - من الجب إلى القصر والمرادة:

وهذه المرحلة تبتدئ بقوله تعالى: "(وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ)"⁷⁶ وتنتهي بقوله تعالى: "(يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ)"⁷⁷، وفيها يلقي إخوة يوسف بيوسف في قعر الجب، وتأتي قافلة لتستقي، فيخرجون يوسف عليه السلام ويبيعونه بثمن بخس إلى عزيز مصر، ثم تصور الآيات الكريمة محاولة امرأة العزيز إغراءه والإيقاع به، وتصور براءة سيدنا يوسف مما رمته به امرأة العزيز من انتهاك الحرمة، وكفر النعمة.

5 - من القصر إلى السجن وتأويل رؤيا الملك:

وهذه المرحلة تبتدئ من قوله تعالى: "(وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ)"⁷⁸، وتنتهي بقوله تعالى: "(وَلَأَجْزُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ)"⁷⁹، وفيها يدخل سيدنا يوسف عليه السلام السجن بتدبير من امرأة العزيز، التي تحقد على النبي الكريم بسبب تمنعه عنها رغم جمالها ومكانتها، ثم ما يدور من أحداث في السجن مع ساقى الملك وخبازه، وتأويل رؤيتهما، ودعوتهما إلى التوحيد، وعدم ترك الدعوة إلى الله عز وجل في أحلك الظروف والمحن، ثم وصف رؤيا الملك كما قال تعالى: "(وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعٌ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ

⁷⁵ السلمي، تفسير القرآن = تفسير العز بن عبد السلام: تج: عبد الله بن إبراهيم الوهبي، (بيروت: دار ابن حزم، ط1، 1996م) 110/2.

⁷⁶ يوسف: 19/12.

⁷⁷ يوسف: 29/12.

⁷⁸ يوسف: 30/12.

⁷⁹ يوسف: 57/12.

يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ" ⁸⁰، وأخيراً دعوة الملك يوسف لتأويل الرؤيا، والحكم ببراءته من الفرية التي حاكتها امرأة العزيز واعترافها بالحق ورضوخها له، وتولية الملك يوسف عليه السلام خزان مصر.

6 - لقاء يوسف بإخوته ودخولهم عليه وما جرى له معهم:

وهذه المرحلة تبتدئ بلقاء يوسف بأخوته من قوله تعالى: "جَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ" ⁸¹ إلى قوله: "وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ" ⁸² الآية، ثم دخولهم عليه في رحلتهم الثانية ومعهم بنيامين من قوله تعالى: "وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ" ⁸³ إلى قوله: "يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيَاسُّوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَبْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ" ⁸⁴، وفيها يسافر أولاد يعقوب عليه السلام إلى مصر بعد أن عم القحط مصر وأرجاءها طلباً للميرة، ثم يدخلون على يوسف فيعرفهم ويطلب منهم أن يحضروا أخاهم الأصغر بنيامين، ثم يتهم يوسف إخوته بالسرقة.

7 - الرحلة الثالثة إلى مصر حتى ختام القصة:

تبتدئ بقوله تعالى: "فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ" ⁸⁵ وتنتهي القصة بالآية الكريمة: "رَبِّ قَدْ آتَيْنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ" ⁸⁶، وفيها يطلب يعقوب من أولاده السفر إلى مصر للمرة

⁸⁰ يوسف: 43/12.

⁸¹ يوسف: 58/12.

⁸² يوسف: 67/12.

⁸³ يوسف: 68/12.

⁸⁴ يوسف: 87/12.

⁸⁵ يوسف: 88/12.

⁸⁶ يوسف: 101/12.

الثالثة للبحث عن يوسف وأخيه بنيامين، ثم يقوم سيدنا يوسف بكشف أحداث ما جرى في الآيات السابقة لهذه الآيات، وعندها يقر إخوة يوسف بالذنب، ويذهبون بقميص يوسف إلى أبيهم ويطلبون المغفرة على فعلتهم، ثم تصور الآيات حضور سيدنا يعقوب مع بقية أهله إلى مصر فيرتفع على العرش ويسجدون له، وتتم بذلك لسيدنا يوسف الرؤيا المباركة كما وعده الله تعالى بالملك والنبوة.

1.2.2. المطلب الثاني : آيات الملك والتمكين، والمراحل التي مرَّ بها

يوسف عليه السلام.

1 – آيات الملك هي: 1- قال سبحانه وتعالى : (وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ) ⁸⁷.

2- قال سبحانه وتعالى: (وَقَالَ الْمَلِكُ انْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ) ⁸⁸.

3- قال سبحانه وتعالى : (وَقَالَ الْمَلِكُ انْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ) ⁸⁹.

4- قال سبحانه وتعالى: (قَالُوا نَفَقْدُ صَوَاعِ الْمَلِكِ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ) ⁹⁰.

5- قال سبحانه وتعالى: (فَبَدَأَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ) ⁹¹.

⁸⁷ يوسف : 43/12

⁸⁸ يوسف : 50/12

⁸⁹ يوسف : 54/12

⁹⁰ يوسف : 72/12

⁹¹ يوسف : 76/12

6- قال سبحانه وتعالى: (رَبِّ قَدْ أَنْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ)⁹².

2 - آيات التمكن هي:

1- قال سبحانه وتعالى: (كَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ)⁹³

2- قال سبحانه وتعالى: (وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبَوُّا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ)⁹⁴.

2,2. المبحث الثاني: المراحل التي مرَّ بها يوسف عليه السلام:

سردت لنا الآيات الكريمة من سورة يوسف عليه السلام تفاصيل القصة بدقة، وإنما سُمِّيت الحكاية قصة – كما يقول الخازن – "لأن الذي يقص الحديث يذكر تلك القصة شيئاً فشيئاً؛ والمعنى نحن نبين لك يا محمد أخبار الأمم السالفة والقرون الماضية أحسن البيان"⁹⁵، ولن نقف عند كل تفصيل من تفاصيل السورة، وإنما سوف نكتفي بعرض المراحل التي مرَّ بها سيدنا يوسف وصولاً إلى الملك والتمكين التي هي موضوع البحث، وهذه المراحل هي:

2.1,2. المطلب الأول: في حجر يعقوب:

هذه المرحلة تمتد من ولادة سيدنا يوسف عليه السلام، ونشأته في كنف والده يعقوب عليه السلام، إلى أول وصوله إلى قصر عزيز مصر، ويروي ابن كثير أن أولاد يعقوب الذكور كانوا اثني عشر رجلاً، فمن زوجته ليا: ولد له روبيل،

⁹² يوسف : 101/12

⁹³ يوسف : 21/12

⁹⁴ يوسف : 56/12

⁹⁵ الخازن، لباب التأويل = تفسير الخازن: 511/2.

وشمعون، ولاوي، ويهوذا، وأيساخ، وزابلون، ومن راحيل زوجته الصغرى: يوسف، وبنيامين، وأن راحيل ماتت بعد أن جهدت في طلق ولدها بنيامين، وإليهم ينتسب أسباط بني إسرائيل، وكان أشرفهم وأجلهم وأعظمهم يوسف عليه السلام⁹⁶، كما قال النبي ﷺ "الكريم ابن الكريم ابن الكريم: يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام"⁹⁷.

"وفي حجر يعقوب نشأ يوسف، وكان أحب أولاده إلى قلبه، ويذكر ابن جرير الطبري " أن يعقوب عليه السلام نازلاً بالشام وكان ليس له هم إلا يوسف وأخوه بنيامين فحسده إخوته مما رأوا من حب أبيه له، ورأى يوسف عليه السلام في النوم رؤيا أن أحد عشر كوكباً والشمس والقمر ساجدين له، فحدث أباه بها فقال له يعقوب عليه السلام: "﴿يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾"⁹⁸ فبلغ إخوة يوسف، الرؤيا فحسدوه فقالوا "﴿لْيُؤْسِفْ وَأَخُوهُ﴾"⁹⁹ بنيامين "﴿لْيُؤْسِفْ وَأَخُوهُ﴾"¹⁰⁰ - كانوا عشرة - "﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾"¹⁰¹ قالوا : في ضلال من أمرنا، "﴿اقتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ﴾"¹⁰² يقول : تتوبون مما صنعتُم به"¹⁰³.

وهنا تمالأ أخوة يوسف كما ذكرنا، وأخذوا يدبرون الحيل والمكائد لكي يفرقوا بين الأب وابنه الصغير، فاحتالوا علي أبيه حتى أخذوه بحجة الصيد والرماية، وجأؤوا أباهم عشاء يبكون مدعين أن يوسف أكله الذئب، وكانوا قد ذبحوا غُذِيمةً صغيرة ولطخوا به قميص يوسف، وقد تفتن يعقوب عليه السلام لذلك وقال:

⁹⁶ ابن كثير الدمشقي، البداية والنهاية: تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، (مصر/السعودية: دار هجر، ط1، 1997م)، 455/1.

⁹⁷ البخاري الجعفي، الجامع المسند الصحيح = صحيح البخاري: تح: محمد زهير بن ناصر الناصر، ترتيب: محمد فؤاد عبد الباقي، (السعودية، دار طوق النجاة، ط1 - 200م)، 151/4، رقم الحديث: 3390، باب قول الله تعالى: لقد كان في يوسف، حكم الحديث: صحيح.

⁹⁸ يوسف: 5/12.

⁹⁹ يوسف: 8/12.

¹⁰⁰ يوسف: 8/12.

¹⁰¹ يوسف: 8/12.

¹⁰² يوسف: 9/12.

¹⁰³ السيوطي، الدر المنثور: 186/8، روى السيوطي هذه الرواية بإخراج ابن جرير الطبري.

ما أشفق ذلك الذئب الذي لم يخرق قميصه يقول ابن جرير: " (قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ) " وهو يهوذا " (لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غِيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ) " ¹⁰⁴، فلما أجمعوا أمرهم على ذلك أتوا أباهم فقالوا له: " (قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ) " ¹⁰⁵، قال : لن أرسله معكم إني " (وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ) * قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذَا لَخَاسِرُونَ) " ¹⁰⁶ فأرسله معهم فأخرجوه وبه عليه كرامة، ثم إنهم رجعوا إلى أبيهم فأخذوا جدياً من الغنم فذبحوه ونضحوا دمه على القميص، ثم أقبلوا إلى أبيهم عشاء يبكون، فلما سمع أصواتهم فزع وقال : يا بَنِي مَا لَكُمْ هَلْ أَصَابَكُمْ فِي غَنَمِكُمْ شَيْءٌ، قالوا : لا، قال : فما فعل يوسف : " (قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَقِيقُ وَتَرَكَنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا) " ¹⁰⁷ يعني: بمصدق لنا " (وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ) " فبكى الشيخ وصاح بأعلى صوته ثم قال: أين القميص؟ ثم جاؤوا بقميصه وعليه دم كذب، فأخذ القميص وطرحه على وجهه، ثم بكى حتى خضب وجهه من دم القميص، ثم قال : إن هذا الذئب يا بَنِي لرحيم فكيف أكل لحمه ولم يخرق قميصه ¹⁰⁸. وبعد أن خرجوا به من عند أبيهم كشفوا عن وجهه سوداء مثل قلوبهم، يملؤها الحقد، ويأكلها الحسد، وتضطرم فيها نار الأحقاد والضغائن، فجعلوا يضربونه ويعذّبونه، وهو يسترحمهم، ولا يرحمونه، حتى ألْقَوْهُ فِي غِيَابَةِ الْجُبِّ، ولولا لطف الله بأن رُمِيَ فِي بئر مغمورة بالماء، لتردى قتيلاً كما أرادوا له أن يكون، يقول ابن جرير: " فلما برزوا إلى البرية، أظهروا له العداوة، فجعل يضربه أحدهم فيستغيث بالآخر فيضربه، فجعل لا يرى منهم رحيماً، فضربوه حتى كادوا يقتلونه فجعل يصيح ويقول: يا أبتاه يا يعقوب لو تعلم ما صنع بابنك بنو الإمام، فلما كادوا يقتلونه قال يهوذا: أليس قد أعطيتموني موثقاً أن لا تقتلوه، فانطلقوا به إلى الجب ليطرحوه فيه

¹⁰⁴ يوسف: 10/12.

¹⁰⁵ يوسف: 11/12.

¹⁰⁶ يوسف: 14/12.

¹⁰⁷ يوسف: 17/12.

¹⁰⁸ السيوطي، الدر المنثور: 188/8.

فجعلوا يدلونه في البئر فيتعلق بشفير البئر فربطوا يديه ونزعو قميصه فقال: يا إخوتاه ردُّوا علي قميصي أتواري به في الجب، فقالوا له : ادغُ الأحد عشر كوكباً والشمس والقمر يؤنسوك، قال : فإني لم أر شيئاً، فدلوه في البئر حتى إذا بلغ نصفها ألقوه إرادة أن يموت، فكان في البئر ماء فسقط فيه فلم يضره، ثم أوى إلى صخرة في البئر فقام عليها، فجعل يبكي فناداه إخوته فظن أنها رقة أدركتهم فأجابهم، فأرادوا أن يرضخوه بصخرة فقام يهوذا فمنعهم، وقال : قد أعطيتُموني موثقاً أن لا تقتلوه فكان يهوذا يأتيه بالطعام"¹⁰⁹.

ثم بعد ذلك مرت قافلة من المسافرين بذلك المكان، وهرعوا إلى البئر ليستقوا، ولما ألقوا دلاءهم إذ بهم يفاجئون بصبي يملأ النور أركانه بشاشة، ففرحوا به، ولكن سرعان ما انتبه إخوة يوسف الذين كانوا يراقبون المكان، مدعين أنه عبد أبق لهم، وأنهم فتشوا الصحراء لكي يعثروا عليه بعد أن هرب منهم فلم يجدوه، ثم باعوه للقافلة بثمن بخس، لكي يضمنوا عدم عودته لأبيهم يعقوب، ويشرح له ما حدث مع إخوته، وكيف كادوا له وهموا به أن يقتلوه؛ يقول ابن جرير الطبري: "وجاءت سيارة فأرسلوا واردهم فأدلى دلوه، فتعلق يوسف عليه السلام بالحبل فخرج، فلما رآه صاحب الدلو دعا رجلاً من أصحابه يقال له بشراي فقال: يا بشراي هذا غلام ، فسمع به إخوة يوسف عليه السلام فجاءوا فقالوا : هذا عبد لنا أبق ورطنوا له بلسانهم، فقالوا : لنن أنكرت أنك عبد لنا لنقتلنك، أترانا نرجع بك إلى يعقوب عليه السلام وقد أخبرناه أن الذئب قد أكلك، قال : يا إخوتاه ارجعوا بي إلى أبي يعقوب فأنا أضمن لكم رضاه، ولا أذكر لكم هذا أبداً، فأبوا فقال الغلام : أنا عبد لهم، فلما اشتراه الرجلان فرقا من الرفقة أن يقولوا اشتريناه فيسألونهما الشركة فيه فقالا: نقول إن سألونا ما هذا نقول هذه بضاعة استبضعناها من البئر، فذلك قوله "(

¹⁰⁹ السيوطي، الدر المنثور: 187/8.

وَأَسْرَوْهُ بِضَاعَةً" (وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ) ¹¹⁰ - وكانت عشرين درهماً - وكانوا في يوسف من الزاهدين ¹¹¹.

ثم سارت به القافلة إلى مصر، وعرضوه في سوق النخاسة على عادة بيع العبيد، وكان يوسف عليه السلام آنذاك شاباً تملأه المهابة والحسن، ويبدو أن أصحاب العزيز توسموا فيه الخير فاشتروه، ووافقت فراسة أصحاب العزيز فراسته فقال لامرأته: أكرمي مثواه، وهنا كتب الله تعالى أول درجات التمكين ومراتبه كما قال سبحانه وتعالى: (وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِمَرْأَتِهِ أَكْرَمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) ¹¹².

2.2.2. المطلب الثاني: عند العزيز:

إن محنة يوسف عليه السلام لم تنته بدخوله قصر عزيز مصر، فبعد دخوله إليه بدأت محاولات امرأة العزيز لمرادة ذلك الشاب الذي امتلك شطر الحسن كما قال عليه الصلاة والسلام ¹¹³، أحبته زليخا - امرأة العزيز - حباً جماً ملأ عليها شغاف قلبها، وجن جنونها - جنون الشهوة والسلطان، فإذا بها تغلق الأبواب وترخي الستائر، وتحدث الروايات أن يوسف عليه السلام لم يقاوم في أول الأمر إغراءاتها، فإذا به يحل سراويله، (وهذا في الاسرائيليات)، ولكن عناية الله ولطفه به تداركته، فقيل: رأى يعقوب عليه السلام عاضاً على أصابعه، زاجراً له، فقام بسرعة يشد سراويله هارباً ¹¹⁴، فأخذت بمؤخرة قميصه فخرقته، وعند خروجه من باب الحجرة تفاجئاً بسيدتهما ومولاهما العزيز، وبعد أن سمع افتراءاتها عليه بادعائها أن يوسف هتك سترها وانتهك حرمتها، وسمع حجته في الدفاع عن نفسه، اقترح ابن عم لها أن

¹¹⁰ يوسف: 20/12.

¹¹¹ السيوطي، الدر المنثور: 189/8.

¹¹² يوسف: 21/12.

¹¹³ مسلم، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، نج: محمد فؤاد عبد الباقي بيروت: دار إحياء التراث العربي، د. ت. ط، كتاب: الإيمان، باب: الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات، وفرض الصلوات.

¹¹⁴ الطبري، جامع البيان - تفسير الطبري، 87/13، السيوطي، الدر المنثور: 225/8.

يريا القميص وبه تبين كذبها وصدقه، ويبدو أن العزيز واسمه أطفير كان رجلاً عديم الغيرة فاكتفى بتأنيبها بدل عقابها، وطلب منها أن تستغفر من ذنبها بكل هدوء وبرود أعصاب، يقول ابن جرير الطبري: " فأحبته امرأته فقالت له : يا يوسف ما أحسن شعرك! قال : هو أول ما يتناثر من جسدي، قال : يا يوسف ما أحسن عينيك! قال : هما أول ما يسيلان إلى الأرض من جسدي ، قالت : يا يوسف ما أحسن وجهك! قال: هو للتراب يأكله، " (وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ)" ¹¹⁵ قال هلم لك - وهي بالقبطية - قال: معاذ الله إنه ربي قال : سيدي أحسن مثواي فلا أخونه في أهله، فلم تزل به حتى أطمعها فهمت به وهم بها فدخل البيت " (وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ)"، فذهب ليحل سراويله فإذا هو بصورة يعقوب عليه السلام قائماً في البيت قد عض على أصبعه يقول: يا يوسف لا تواقعها فإنما مثلك مثل الطير في جو السماء لا يطاق، ومثلك إذا وقعت عليها مثله إذا مات فوق على الأرض لا يستطيع أن يدفع عن نفسه، ومثلك مثل الثور الصعب الذي لم يعمل عليه، ومثلك إذا واقعتها مثله إذا مات فدخل الماء في أصل قرنيه لا يستطيع أن يدفع عن نفسه، فربط سراويله وذهب ليخرج فأدركته فأخذت بمؤخر قميصه من خلفه فخرقته حتى أخرجته منه، وسقط وطرحه يوسف واشتد نحو الباب وألفيا سيدها جالسا عند الباب، هو وابن عم المرأة فلما رآته المرأة " (وَقَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)" ¹¹⁶ إنه راودني عن نفسي فدفعته عني فشقت قميصه، فقال يوسف : لا بل هي راودتني عن نفسي فأبيت وفررت منها فأدركتني فأخذت بقميصي فشقتة علي، فقال ابن عمها : في القميص تبيان الأمر انظروا إن كان القميص قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين، وإن كان قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين، فلما أتى بالقميص وجده قد من دبر فقال " (إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ * يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ

¹¹⁵ يوسف: 23/12.

¹¹⁶ يوسف: 25/12.

(¹¹⁷ يقول : لا تعودى لذنبك، " (وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا) "¹¹⁸.

2.3.2. المطلب الثالث: في السجن:

لم تنتهِ عذابات سيدنا يوسف في قصر العزيز، بعد محاولة امرأته زليخا مراودته، ثم الاقتراء عليه أمام زوجها الملك، وإذ الإشاعات تملؤ المدينة بما يدور في القصر من هيام امرأة العزيز وحبها ليوسف ذلك الفتى الذي أذلها بعفاهه وتقواه، وراح الشيطان ينفخ في رأسها وقلبها نار الحقد والكبر، كيف وهي السلطانة صاحبة السطوة والجمال معاً؛ يرفضها ذلك العبد الوضيع العبراني، وما زالت تكيد له المكائد عند زوجها، وتدبر له الفتن حتى أدخلته السجن، وهنا تبدأ محنة أخرى من محن النبي الكريم يوسف عليه السلام، يقول ابن جرير الطبري: " (وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا) "¹¹⁹ والشغاف جلدة على القلب يقال لها لسان القلب؛ يقول: دخل الحب الجلد حتى أصاب القلب - فلما سمعت بمكرهن - يقول بقولهن - أرسلت إليهن واعتدت لهن متكاً يتكنن عليه، وآتت كل واحدة منهن سكيناً وأترجاً تأكله، وقالت ليوسف : اخرج عليهن، فلما خرج ورأى النسوة يوسف أعظمته وجعلن يحزرن أيديهن وهم يحسبن أنهن يقطعن الأترج ويقولن: " (حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ) "¹²⁰ قالت: " (فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ) "¹²¹ بعدما كان حل سراويله ثم لا أدري ما بدا له، قال يوسف: " (رَبِّ السِّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ) "¹²² من الزنا، ثم إن المرأة قالت لزوجها : إنَّ العبد العبراني قد فضحني في الناس، إنه يعتذر إليهم ويخبرهم أني راودته عن نفسه ولست أطيق أن أعتمر بعذري، فلما أن تأذن لي فأخرج فاعتذر كما يعتذر، وإما أن تحبسه كما حبستني فذلك قوله " (ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِنْ

¹¹⁷ يوسف: 29/12.

¹¹⁸ السيوطي، الدر المنثور: 190/8.

¹¹⁹ يوسف: 30/12.

¹²⁰ يوسف: 31/12.

¹²¹ يوسف: 32/12.

¹²² يوسف: 33/12.

بَعْدَ مَا رَأَوْا الْآيَاتِ" ¹²³ وهو شق القميص وقطع الأيدي " (لَيْسُجُنَّتْهُ حَتَّى حِينٍ * وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٍ) ¹²⁴: غَضِبَ الْمَلِكُ عَلَى خَبَازِهِ أَنَّهُ يَرِيدُ أَنْ يَسْمَهُ فَحَبَسَهُ وَحَبَسَ السَّاقِي وَظَنَّ أَنَّهُ مَالَاهُ عَلَى السَّمِّ، فَلَمَّا دَخَلَ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ السِّجْنَ قَالَ : إِنِّي أَعْبَرُ الْأَحْلَامَ ، قَالَ أَحَدُ الْفَتَيَيْنِ : هَلُمَّ فَلْنَجْرِبْ هَذَا الْعَبْدَ الْعِبْرَانِيَّ، فَتَرَايَا مِنْ غَيْرِ أَنَّ يَكُونَا رَأْيَا شَيْئًا وَلَكِنَّهُمَا خَرَصَا فَعَبَّرَ لَهُمَا يُوسُفُ خَرَصَهُمَا فَقَالَ السَّاقِي: رَأَيْتَنِي أَعَصَرَ خَمْرًا، وَقَالَ الْخَبَازُ : رَأَيْتَنِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خَبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ، قَالَ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَا يَأْتِيَكُمَا طَعَامُ تَرْزُقَانِهِ فِي النَّوْمِ إِلَّا نَبَأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ فِي الْيَقِظَةِ ثُمَّ قَالَ : " (يَا صَاحِبَي السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا) " ¹²⁵ فيعيد على مكانه " (وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصَلِّبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ) " ¹²⁶ ففرعا وقالوا : والله ما رأينا شيئا ، قال يوسف عليه السلام : " (قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ) " إن هذا كائن لا بد منه، وقال يوسف عليه السلام للساقى : " (اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ) " ¹²⁷.

وَأَلْقَى اللَّهُ تَعَالَى فِي رُوحِ ذَلِكَ الْمَلِكِ حُلُمًا غَرِيبًا: سَبْعَ بَقَرَاتٍ سَمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعَ عَجَافٍ وَسَبْعَ سَنَبَلَاتٍ خَضِرٍ وَأُخْرٍ يَابِسَاتٍ، وَيَدْعُو لِذَلِكَ مُسْتَشَارِي قَصْرِهِ وَكُهْنَةً مَعْبُودَةً وَوُزَرَاءَ عَهْدِهِ فَيَقِفُ كُلُّ مِنْهُمْ عَاجِزًا، وَيَعْلَلُونَهُ بِأَنَّهُا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ، وَيَكْتُبُ اللَّهُ لِيُوسُفَ أَجْمَلَ الْأَقْدَارِ بَعْدَ مَعَانَاةِ عَشْرِ سَنِينَ فِي الْحَبْسِ، فَيَذْكُرُهُ مَنْ كَانَ بِالْأَمْسِ مَعَهُ وَهُوَ سَاقِي الْمَلِكِ، فَيَأْمُرُ الْمَلِكُ بِإِحْضَارِ يُوسُفَ فَعَبَّرَ لَهُ الرُّؤْيَا، كَمَا عَلَّمَهُ رَبُّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ثُمَّ اسْتَدْعَى النِّسْوَةَ اللَّاتِي رَاوَدَتْهُ لِيَكْتَشِفَ حَقِيقَةَ أَمْرِهِ، فَشَهِدُوا لَهُ بِالتَّقْوَى وَالْعِفَافِ، ثُمَّ اسْتَدْعَى زَوْجَتَهُ زَلِيخَا فَأَسْقَطَ فِي يَدَيْهَا وَانْصَاعَتْ لِلْحَقِّ، وَاعْتَرَفَتْ أَنَّهَا افْتَرَتْ عَلَيْهِ، عِنْدَهَا ظَهَرَ لِلْمَلِكِ بَرَاءَتُهُ، وَأَنَّهُ مِنْ أَصْلِ كَرِيمٍ، فَوَلَاهُ الْبَيْعَ وَالْأَمْرَ يَقُولُ ابْنُ جَرِيرٍ: "ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ أَرَى الْمَلِكَ رُؤْيَا فِي مَنَامِهِ هَالَتَهُ فَرَأَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سَمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعَ عَجَافٍ وَسَبْعَ سَنَبَلَاتٍ خَضِرٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعَ يَابِسَاتٍ،

¹²³ يوسف: 35/12.

¹²⁴ يوسف: 36/12.

¹²⁵ يوسف: 41/12.

¹²⁶ يوسف: 41/12.

¹²⁷ السيوطي، الدر المنثور: 190/8.

فجمع السحرة والكهنة والعافة - وهم القافة - والحاذة - وهم الذين يزجرون الطير - فقصها عليهم فقالوا : أضعاث أحلام وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين ، " (وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ) "128 ، قال ابن عباس رضي الله عنهما : لم يكن السجن في المدينة فانطلق الساقى إلى يوسف عليه السلام فقال " (أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ) " إلى قوله " (لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ) "129 تأويلها " (قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأْبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرَوْهُ فِي سُنْبُلِهِ) "130 قال هو أبقي له " (إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ * ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا نَحْصِنُونَ) "131 قال : مما ترفعون " (ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعَصِرُونَ) "132 قال : العنب فلما أتى الملك الرسول وأخبره قال : " (ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ) " ، فأمره أن يخرج إلى الملك أبى يوسف وقال : " (ارجع إلى ربك فاسأله مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ) "133 ، قال السُّدِّيُّ : قال ابن عباس رضي الله عنهما : لو خرج يوسف يومئذ قبل أن يعلم الملك بشأنه ما زالت في نفس العزيز منه حاجة يقول هذا الذي راود امرأته ، قال الملك ائتوني بهن " (قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ) "134 ولكن امرأة العزيز أخبرتنا أنها راودته عن نفسه ودخل معها البيت وحل سراويله ثم شده بعد ذلك ولا تدري ما بدا له ، فقالت امرأة العزيز " (الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ) "135 قال تبيين ، " (أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ) " قال يوسف - وقد جيء به - ذلك ليعلم العزيز " (أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ) " في أهله " (وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ) "136 ، فقالت امرأة العزيز : يا يوسف ولا حين حللت السراويل قال يوسف عليه

يوسف: 45/12. 128

يوسف: 46/12. 129

يوسف: 47/12. 130

يوسف: 48/12. 131

يوسف: 49/12. 132

يوسف: 50/12. 133

يوسف: 51/12. 134

يوسف: 51/12. 135

يوسف: 52/12. 136

السلام : "(وَمَا أَبْرَأُ نَفْسِي)" ، فلما وجد الملك له عذراً قال : "(انْثُونِي بِهِ
أَسْتَخْلَصْنُهُ لِنَفْسِي)" ¹³⁷ فاستعمله على مصر فكان صاحب أمرها هو الذي يلي البيع
والأمر ¹³⁸.

وهكذا كتب الله ليوسف عليه السلام درجة أخرى من التمكين في الأرض،
بما صبر واتفق، قال ابن القيم: "فإنه سبحانه كما يحمي الأنبياء ويصونهم،
ويحفظهم ويتولاهم فيبتليهم بما شاء من أذى الكفار لهم: ليستوجبوا كمال كرامته،
وليتسلى بهم من بعدهم من أممهم وخلفائهم إذا أوزوا من الناس فرأوا ما جرى على
الرسل والأنبياء صبروا ورضوا وتأسوا بهم" ¹³⁹.

2.4.2. المطلب الرابع: في الملك:

أخيراً بعد هذه المحن المتواليات رفع الله منزلة يوسف بما امتلك من العلم
والحلم، وبعد أن صبر فرج الله تعالى عنه، وأعطاه أعلى مرتبة في الدنيا وهي
الملك مع التمكين، وكذلك أعلى مراتب الآخرة وهي النبوة باصطفائه وتقريبه، جمع
له بينهما بما صبر واتفق، بعد أن أؤذي وظلم ظلماً شديداً، وجاء وقت الحساب
والمكاشفة، فقد أصاب الجذب بلاد الشام، كما في الرؤيا، وخرج إخوة يوسف إلى
مصر يمتارون طعاماً، وكاد الله ليوسف عليه السلام فاستدرج إخوته بالحيلة
لإحضار أخيه الأصغر بنيامين، وحلفوا لأبيهم يعقوب أن لن يمسه سوء، وأن الملك
يطلب رؤيته، وأنه منعت عنهم الميرة والغذاء حتى يحضروه، وبعد أن أعطوه العهد
الأكيد وحلفوا له بأغلظ الأيمان أن يحفظوه ويصونوه، سافروا به إلى ملك مصر،
وهنا يكيد الله ليوسف مرة أخرى، فيصنع بإخوته مكيدة تكاد تذهل أنفسهم، فقد وضع
صواع الملك في متاع أخيه بنيامين، ثم أمر الحرس بتفتيشهم، وأخرجوا صواع
الملك من رحال أخيه، فأسقط في أيديهم، وتخبطوا وندموا بعد فوات الأوان، ولات
حين مندم، ولم يعرفوا ما يصنعوا، حتى عرّفهم يوسف عليه السلام بنفسه

¹³⁷ يوسف: 54/12.

¹³⁸ السيوطي، الدر المنثور: 193/8.

¹³⁹ ابن قيم الجوزية، بدائع الفوائد، (بيروت: دار الكتاب العربي، د.ت.)، 226/2.

وبصنيعهم القبيح به، ثم جاءت البشارة إلى يعقوب بقميص يوسف فارتد إليه بصره، وكان قد عمي من شدة البكاء على ولديه، يقول ابن جرير الطبري: " فأصاب الأرض الجوع وأصاب بلاد يعقوب التي كان فيها فبعث بنيه إلى مصر وأمسك بينامين أخا يوسف، فلما دخلوا على يوسف "﴿فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾"¹⁴⁰، فلما نظر إليهم أخذهم وأدخلهم الدار - دار الملك - وقال لهم : أخبروني ما أمركم فإني أنكر شأنكم، قالوا : نحن من أرض الشام، قال : فما جاء بكم قالوا : نمتار طعاماً، قال : كذبتكم أنتم عيون؛ كم أنتم؟ قالوا: نحن عشرة ، قال أنتم عشرة آلاف كل رجل منكم أمير ألف فأخبروني خبركم، قالوا : إنا أخوة بنو رجل صديق، وإنا كنا اثني عشر فكان يحب أخا لنا وإنه ذهب معنا إلى البرية فهلك منا، وكان أحبنا إلى أبينا، قال : فإلى من يسكن أبوكم بعده؟ قالوا: إلى أخ له أصغر منه، قال : كيف تحدثوني أن أباكم صديق وهو يحب الصغير منكم دون الكبير اتنوني بأخيكم هذا حتى أنظر إليه "﴿فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرُبُونِ﴾* قَالُوا سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ﴾"¹⁴¹، قال : فإني أخشى أن لا تأتونني به فضعوا بعضكم رهينة حتى ترجعوا، فارتهن شمعون عنده، فقال لفتيته وهو يكيل لهم : اجعلوا بضاعتهم في رحالهم لعلهم يعرفونها إذا انقلبوا إلى أهلهم لعلهم يرجعون إلي، فلما رجع القوم إلى أبيهم كلموه فقالوا: يا أبانا إن ملك مصر أكرمنا كرامة لو كان رجلاً منا من بني يعقوب ما أكرمنا كرامته، وإنه ارتهن شمعون وقال : اتنوني بأخيكم هذا الذي عطف عليه أبوكم بعد أخيكم الذي هلك حتى أنظر إليه، فإن لم تأتونني به فلا تقربوا بلادي أبداً، فقال لهم يعقوب عليه السلام: إذا أتيت مملك مصر فأقرؤوه مني السلام وقولوا : إن أبانا يصلي عليك ويدعو لك بما أوليتنا، ولما فتحوا رحالهم وجدوا بضاعتهم رُدَّتْ إليهم أتوا أباهم "﴿قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا﴾"¹⁴²، فقال أبوه حين رأى ذلك : "﴿لَنْ أَرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ

¹⁴⁰ يوسف: 58/12.

¹⁴¹ يوسف: 60/12 - 61.

¹⁴² يوسف: 65/12.

لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ) ، فحلفوا له (فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ) قال يعقوب : (اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ) ¹⁴³ ، ورهب عليهم أن يصيبهم العين إن دخلوا مصر فيقال هؤلاء لرجل واحد قال: (يَا بَنِي لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ) - يقول من طريق واحد - فلما دخلوا على يوسف عرف أخاه فأنزلهم منزلاً وأجرى عليهم الطعام والشراب، فلما كان الليل أتاهم بمثل قال: لينم كل أخوين منكم على مثال حتى بقي الغلام وحده، فقال يوسف عليه السلام : هذا ينام معي على فراشي فبات مع يوسف فجعل يشم ريحه ويضمه إليه حتى أصبح وجعل يقول روبيل: ما رأينا رجلاً مثل هذا إن نحن نجونا منه، (فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ) والأخ لا يشعر فلما ارتحلوا (أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ) قبل أن يرتحل العير : (أَيَّتَهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ) ¹⁴⁴ فانقطعت ظهورهم (وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ) يقولون: (مَاذَا تَفْقِدُونَ) ¹⁴⁵ إلى قوله (فَمَا جَزَاؤُهُ) ؟ (قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وَجَدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ) ¹⁴⁶ يقول: تأخذونه فهو لكم (فَبَدَأَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ) تنظروا في رحله ونذهب وقد طابت نفوسكم، فأدخل يده في رحله فاستخرجها من رحل أخيه ، يقول الله (كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ) يقول صنعنا ليوسف (مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ) ¹⁴⁷ يقول في حكم الملك (إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ) ولكن صنعنا لشأنهم قالوا فهذا جزاؤه، قال : فلما استخرجها من رحل الغلام انقطعت ظهورهم وهلكوا وقالوا : ما يزال لنا منكم بلاء يا بَنِي راحيل حتى أخذت هذا الصواع، قال بنيامين : بنو راحيل لا يزل لنا منكم بلاء ذهبتم بأخي فأهلكتموه في البرية، وما وضع هذا الصواع في رحلي إلا الذي وضع الدراهم في رحالكُم، قالوا: لا تذكر الدراهم فتؤخذ بها فوقعوا فيه وشتموه فلما أدخلوهم على يوسف دعا بالصواع ثم نقر فيه ثم أدناه من أذنه ثم قال : إن صواعي هذا يخبرني أنكم كنتم اثني عشر أخاً وإنكم انطلقتم بأخ لكم فبعتموه، فلما سمعها

¹⁴³ يوسف: 66/12.

¹⁴⁴ يوسف: 70/12.

¹⁴⁵ يوسف: 71/12.

¹⁴⁶ يوسف: 75/12.

¹⁴⁷ يوسف: 76/12.

بنيامين قام فسجد ليوسف وقال : أيها الملك سل صواعك هذا أخي ذاك أم لا؟ فنقروها يوسف ثم قال : نعم هو حي وسوف تراه، قال : اصنع بي ما شئت فإنه أعلم بي، فدخل يوسف عليه السلام فبكى ثم توضأ ثم خرج، فقال بنيامين: أيها الملك إني أراك تضرب بصواعك الحق فسله من صاحبه؟ فنقر فيه ثم قال : إن صواعي هذا غضبان يقول كيف تسألني من صاحبي وقد رأيت مع من كنت، وكان بنو يعقوب إذا غضبوا لم يطاقوا، فغضب روبيل فقام فقال : أيها الملك والله لتتركنا أو لأصيح صيحة لا تبقى امرأة حامل بمصر إلا طرحت ما في بطنها، وقامت كل شعرة من جسد روبيل فخرجت من ثيابه فقال يوسف لابنه مرة: مُرَّ إِلَى جَنْبِ رُوبِيلِ فَمْسِهْ، فمسه فذهب غضبه، فقال روبيل : من هذا؟ إِنَّ فِي هَذِهِ الْبِلَادِ لِبَزْرًا مِنْ بَزْرِ يَعْقُوبَ، قَالَ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: وَمَنْ يَعْقُوبَ فغضب روبيل فقال: أيها الملك لا تذكر يعقوب فإنه بشرى لله ابن ذبيح الله ابن خليل الله، فقال يوسف عليه السلام : أنت إذا كنت صادقاً فإذا أتيتم أباكم فاقروا عليه مني السلام وقلوا له: إن ملك مصر يدعو لك أن لا تموت حتى ترى ابنك يوسف، حتى يعلم أبوكم أن في الأرض صديقين مثله، فلما أيسوا منه، وَأَخْرَجَ لَهُمْ شَمْعُونَ وَكَانَ قَدْ ارْتَهَنَهُ خَلَوْا بَيْنَهُمْ نَجِيًّا يَتَنَاجَوْنَ بَيْنَهُمْ، قَالَ كَبِيرُهُمْ - وَهُوَ رُوبِيلُ وَلَمْ يَكُنْ بِأكْبَرِهِمْ سِنًا، وَلَكِنْ كَانَ كَبِيرَهُمْ فِي الْعِلْمِ - : "أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْتَقًا مِنَ اللَّهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ)"¹⁴⁸.

فأقام روبيل بمصر وأقبل التسعة إلى يعقوب عليه السلام فأخبروه الخبر فبكى وقال : يا بني ما تذهبون من مرةٍ إلا نقصتم واحداً، ذهبتم فنقصتم يوسف، ثم ذهبتم الثانية فنقصتم شمعون، ثم ذهبتم الثالثة فنقصتم بنيامين وروبيل؛ "﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ * وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسْفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزَنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾"¹⁴⁹ من الغيظ، "﴿قَالُوا

¹⁴⁸ يوسف: 80/12.

¹⁴⁹ يوسف: 84/12.

تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ ﴿١٥٠﴾ الميتين ، ﴿١٥١﴾ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ قال : أتى يوسف جبريل عليه السلام وهو في السجن فسَلَّمَ عليه وجاءه في صورة رجل حسن الوجه طيب الريح نقي الثياب، فقال له يوسف: أيها الملك الحسن الوجه الكريم على ربه الطيب ريحه حدثني كيف يعقوب؟ قال: حزن عليك حزناً شديداً، قال: فما بلغ من حزنه؟ قال حزن سبعين مثكلة، قال فما بلغ من أجره؟ قال أجر سبعين شهيداً، قال يوسف عليه السلام : فإلى من أوى بعدي؟ قال إلى أخيك بينامين، قال: فتراني ألقاه قال نعم؟ فبكى يوسف عليه السلام لما لقي أبوه بعده ثم قال: ما أبالي بما لقيت إن الله أرانيه، قال : فلما أخبروه بدعاء الملك أحست نفس يعقوب وقال: ما يكون في الأرض صديق إلا ابني فطمع، وقال : لعله يوسف، قال : ﴿يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ بمصر ﴿وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ﴾¹⁵²، قال : من فرج الله أن يردَّ يوسف فلما رجعوا إليه ﴿قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلُنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُرْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ﴾¹⁵³ بها كما كنت تعطينا بالدراهم الجيدة ﴿وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا﴾ تفضل ما بين الجياد والردية، قال لهم يوسف - ورحمهم عند ذلك - : ﴿مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ﴾ قَالُوا إِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي﴾¹⁵⁴، فاعتذروا إليه ﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ﴾¹⁵⁵ تَتْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ ﴿١٥٥﴾ لا أذكر لكم ذنبكم ﴿يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ﴾¹⁵⁶، ثم قال: ما فعل أبي بعدي؟ قالوا: عمي من الحزن ، فقال ﴿اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَالْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾¹⁵⁶، فقال يهوذا: أنا ذهبت بالقميص إلى يعقوب عليه السلام وهو متلطح بالدماء وقلت: إن يوسف قد أكله الذئب وأنا أذهب

150 يوسف: 85/12.

151 يوسف: 86/12.

152 يوسف: 87/12.

153 يوسف: 88/12.

154 يوسف: 90/12.

155 يوسف: 92/12.

156 يوسف: 93/12.

بالقميص وأخبره أن يوسف عليه السلام حيٌّ فأفرحه كما أحزنته، فهو كان البشير، فلما "(فَصَلَّتِ الْعِيرُ)" من مصر منطلقة إلى الشام وجد يعقوب عليه السلام ريح يوسف عليه السلام فقال لبني بنيه: "(إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَن تُفَنِّدُونِ)"¹⁵⁷، قال له بنو بنيه "(تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ)"¹⁵⁸ من شأن يوسف "(فَلَمَّا أَن جَاءَ الْبَشِيرُ)" وهو يهوذا ألقى القميص على وجهه "(فَارْتَدَّ بِصِيرًا)"¹⁵⁹.

وفي المشهد الاخير من سورة يوسف تنتهي القصة من الحدث الأول، مشهد رؤية يوسف عليه السلام رؤياه العظيمة، والكواكب والشمس والقمر تسجد له، ويجي يعقوب بأهله، ويرتفع يوسف على العريش فيسجدون له، بشائر عظيمة، تنهل واحدة تلو أخرى على ذلك النبي الكريم الصابر المحتسب، الذي علمه ربه من تأويل الأحاديث واصطفاه، ورفع درجته في الدنيا والآخرة يقول ابن جرير الطبري: "قال يعقوب لبنيه "(أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ)"¹⁶⁰، ثم حملوا أهلهم وعيالهم، فلما بلغوا مصر كلم يوسف عليه السلام الملك الذي فوقه، فخرج هو والملك يتلقونهم فلما لقيهم قال: "(ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ)"¹⁶¹، فلما دخلوا على يوسف آوى إليه أبويه أباه وخالته ورفعهما "(عَلَى الْعَرْشِ)"، قال: السرير فلما حضر يعقوب الموت، أوصى إلى يوسف أن يدفنه عند إبراهيم، فمات فنحن فيه المر ثم حمله إلى الشام، وقال يوسف عليه السلام: "(رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ)"¹⁶² إلى قوله: "(تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ)"¹⁶³.

¹⁵⁷ يوسف: 94/12.

¹⁵⁸ يوسف: 95/12.

¹⁵⁹ السيوطي، الدر المنثور: 199/8.

¹⁶⁰ يوسف: 96/12.

¹⁶¹ يوسف: 99/12.

¹⁶² يوسف: 101/12.

¹⁶³ يوسف: 101/12. وينظر: الطبري، جامع البيان = تفسير الطبري، 350/13.

٣. الفصل الثاني: الرؤية الفكرية في آيات الملك والتمكين:

المبحث الأول: المعاني المستقاة من آيات الملك والتمكين

المبحث الثاني: مراتب التمكين

المبحث الثالث: الثمرات التي تحققت لسيدنا يوسف (عليه السلام)

لا تتضح المعاني الشاملة للقرآن الكريم إلا بتكرار النظر، وإعمال الفكر، وفهم المقاصد والغايات القريبة والبعيدة التي تنتج عن الأداء القرآني الرائع في ألفاظه وتراكيبه، وإن قصة يوسف عليه السلام – كما يقول سيد قطب – "تمثلُ النموذج الكامل في الأداء النفسي والعقدي والتربوي والحركي أيضاً"¹⁶⁴، ومن خلال التأمل في سياق القصة نلاحظ أن هناك أبعاداً رمزية ودلالات خفية، ولا بدّ أن نتعرّف إلى تلك الصفات التي تحلّى بها سيدنا يوسف عليه السلام حتى وصل إلى الملك والتمكين، ف"في القرآن الكريم من الرموز أشياء عظيمة القدر، جليلة الخطر"¹⁶⁵.

٣,1. المبحث الأول: المعاني المستقاة من آيات الملك والتمكين:

هناك مجموعة من المعاني التي استخلصها العلماء والدارسون على مختلف العصور، لما وقفوا على ذلك النموذج الإنساني الرائع، المتمثل في شخصية سيدنا يوسف عليه الصلاة والسلام، في قصته التي هي كما قال أحد الدارسين: مجموعة من نظام العلاقات التعبيرية والتصويرية والفكرية¹⁶⁶، وعندما نتكلم عن المعاني المستقاة من آيات الملك والتمكين إنما نعني تلك القاعدة العلمية المعروفة أن لكل

¹⁶⁴ سيد قطب، في ظلال القرآن (بيروت/القاهرة: دار الشروق، ط17، 1991م) 4/1951.

¹⁶⁵ أبو الفرج البغدادي، نقد النثر (بيروت: دار الكتب العلمية، 1980م)، 62.

¹⁶⁶ عبد السلام أحمد الراغب، وظيفة الصورة الفنية في القرآن (سورية/حلب: فصلت للدراسات والنشر، ط1، 2001م) 1/288.

فعل له ردة فعل، وبالتالي فإن سيدنا يوسف عليه السلام لم يصل إلى تلك المكانة السامية العظيمة، وإلى تلك الدرجة العالية التي آتاه الله إياها إلا بعد محنة واختبار، هذه المحنة تصقل تجربة المرء، وتكشف عن خصائصه ومزاياه، وأولى تلك المعاني هي:

1 - معنى الصبر:

وهذا المعنى ورد في سياق القصة مرتين، مرة في الحديث عن سيدنا يعقوب عليه السلام، لما دبر الإخوة مؤامرتهم للإيقاع بيوسف، وبعد أن نفذوا جريمتهم النكراء، جاؤوا أباهم عشاء يبكون، بحجة أن يوسف أكله الذئب، فكان جواب سيدنا يعقوب وهو النبي الكريم أن "(قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ)"¹⁶⁷، والمرة الثانية لما كشف يوسف عن حقيقته لإخوته لما صار ملكاً، وهنا قال سبحانه يذكر جمال معنى الصبر وعاقبته: "قَالُوا أَأَتَاكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ)"¹⁶⁸، وقد أكد العلماء والمفسرون على أهمية هذا المعنى في ثنايا حديثهم عن الآية الكريمة، فقال الإمام الطبري: "(إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ)"¹⁶⁹ يقول: إنه من يتق الله فيراقبه بأداء فرائضه واجتناب معاصيه ويصبر، يقول: يكف نفسه فيحبسها عما حرم الله عليه من قول أو عمل عند مصيبة نزلت به من الله، "(فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ)"¹⁶⁹ يقول: فإن الله لا يبطل ثواب إحسان وجزاء طاعته إياه فيما أمره ونهاه".

ومن جميل فوائد القصة مجملًا وفيه أيضاً الحديث عن معنى الصبر وفائدته قول ابن عادل الحنبلي: "فإحدى الفوائد في هذه القصة: أنه لا دافع لقضاء الله، ولا مانع من قدر الله، وأنه تعالى إذا قضى لإنسان بخير؛ فلو اجتمع العالم، لم يقدرُوا على دفعه. والفائدة الثانية: أنها تدلُّ على أنَّ الحسد سببُ الخُذْلانِ، والنقصانِ.

¹⁶⁷ يوسف: 18/12.

¹⁶⁸ يوسف: 90/12.

¹⁶⁹ الطبري، جامع البيان - تفسير الطبري: 328/13.

والفائدة الثالثة: أَنَّ الصَّبْرَ مفتاحُ الفرج، كما في حقِّ يَعْقُوبَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؛ فَإِنَّهُ لما صبر، نال مقصوده، وكذلك يُوسُفُ صلوات الله وسلامه عليه¹⁷⁰.

2 - معنى العفو عند المقدرة:

عفا يوسف عليه السلام النبي الملك عن إخوته، وهو القادر على إنزال أقسى العقوبات بحقهم، بعدما ما فعلوا فعلتهم النكراء، من إقدامهم على محاولة قتله أولاً، ثم إلقاءه في غيابة الجب ثانياً، ثم بيعه للقافة على أنه عبد أبى بثمان بخص ثالثاً، ومع ذلك لما طلبوا منه العفو والمغفرة، لم يتردد لحظة واحدة، وقال: يغفر الله لكم، يقول تعالى: "(قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ)"¹⁷¹، روى ابن أبي حاتم قال: سَمِعْتُ أَبَا عَمْرَانَ الْجَوْنِي يَقُولُ: "أما والله ما سمعنا بعفو قط مثل عفو يوسف، قال: "(لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ)"¹⁷²، وقصة يوسف ليست مجرد قصة يستمتع بها القارئ والسامع لما فيها من عناصر الحدث والإثارة والتشويق، وإنما لها أهداف ومرام أخرى أهمها أنها نزلت على النبي ﷺ تثبيتاً لقلبه وتسلياً مما يلاقى من أذى مشركي قريش له¹⁷³، وذكر القرطبي أن الله سبحانه وتعالى سماها أحسن القصص لهذا السبب: "لحسن مجاوزة يوسف عن إخوته، وصبره على أذاهم، وعفوه عنهم، بعد الالتقاء بهم، عن ذكر ما تعاطوه، وكرمه في العفو عنهم حتى قال: "(لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ)"¹⁷⁴.

فذلك الاجتباء وإتمام النعمة إنما كان لذلك الخلق الجميل، وهو العفو، وهو قلما يتمتع به كثير من الناس، لا سيما عند المقدرة، فهو درجة عالية من درجات العفو، ولذلك قال القشيري منبهاً إلى تلك الإشارات الواردة في قوله تعالى: "(وَكَذَلِكَ يَجْنِبُكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ

¹⁷⁰ الحنبلي، الباب في علوم الكتاب: 6/11.

¹⁷¹ يوسف: 92/12.

¹⁷² ابن إدريس ابن أبي حاتم التميمي، تفسير القرآن العظيم: تح: أسعد محمد الطيب، (السعودية: مكتبة نزار

مصطفى الباز، ط3، 1999م)، 2195/7.

¹⁷³ ابن عطية، المحرر الوجيز: 218/3.

¹⁷⁴ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي: 120/9.

كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ" ¹⁷⁵ يقول: "ويقال من الاجتناء المذكور أن عصمه عن ارتكاب ما راودته امرأة العزيز عن نفسه. ويقال من قضية الاجتناء إسباله الستر على فعل إخوته حيث قال: "وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ" ¹⁷⁶ ، ولم يذكر خلاصه من البئر. ومن قضية الاجتناء توفيقه لسرعة العفو عن إخوته حيث قال: "لَا تَثْرِيْبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ" ¹⁷⁷ ¹⁷⁸.

ولذلك شدّد النبي عليه الصلاة والسلام على مقابلة القطيعة بالصلة، والإساءة بالإحسان، والظلم بالصبر والغفران فقال: "صِلْ مَنْ قَطَعَكَ، وَأَعْطِ مَنْ حَرَمَكَ، وَاعْفُ عَمَّنْ ظَلَمَكَ" ¹⁷⁹.

3 - معنى الإحسان:

أكد الله سبحانه وتعالى هذه الصفة في سيدنا يوسف عليه السلام مرتين، المرة الأولى عندما كان في السجن، وطلب منه ساقى الملك وخبازه تأويل رؤياهما، قال سبحانه وتعالى: "وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ" ¹⁸⁰، وقد قال المفسرون في تفسير هذه الآية: " عَنْ قَتَادَةَ، قَوْلُهُ: " (إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ) " ¹⁸¹ قَالَ: بَلَّغْنَا أَنْ إِحْسَانَهُ أَنَّهُ كَانَ يَدَاوِي مَرِيضَهُمْ، وَيُعْزِي حَزِينَهُمْ، وَيَجْتَهِدُ لِرَبِّهِ، وَقَالَ: لَمَّا انْتَهَى يُوسُفُ إِلَى السِّجْنِ وَجَدَ فِيهِ قَوْمًا قَدْ انْقَطَعَ رَجَاؤُهُمْ وَاشْتَدَّ بَلَاؤُهُمْ، فَطَالَ حَزْنُهُمْ، فَجَعَلَ يَقُولُ: أَبْشُرُوا وَاصْبِرُوا تَوَجَّرُوا، إِنَّ لِهَذَا أَجْرًا، إِنَّ لِهَذَا ثَوَابًا، فَقَالُوا: يَا فَتَى بَارَكَ اللَّهُ فِيكَ مَا أَحْسَنَ وَجْهَكَ،

¹⁷⁵ يوسف: 6/12.

¹⁷⁶ يوسف: 100/12.

¹⁷⁷ يوسف: 92/12.

¹⁷⁸ عبد الكريم بن هوازن القشيري، لطائف الإشارات = تفسير القشيري: تح: إبراهيم البسيوني، (مصر: الهيئة العامة للكتاب، ط3، دبت) 320/1.

¹⁷⁹ أحمد بن حنبل، المسند: تح: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد وآخرون، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1، 2001م) مسند عقبة بن عامر الجهني، رقم الحديث: 17452، حكم الحديث: حسن.

¹⁸⁰ يوسف: 36/12.

¹⁸¹ يوسف: 36/12.

وأحسن خلقك! لقد بورك لنا في جوارك، ما نحب أنا كنا في غير هذا منذ حبسنا لما تخبرنا من الأجر والكفارة والطهارة، فمن أنت يا فتى؟ قال: أنا يوسف ابن صفى الله يعقوب، ابن ذبيح الله إسحاق، بن إبراهيم خليل الله. وكانت عليه محبة. وقال له عامل السجن: يا فتى والله لو استطعت لخليت سبيلك، ولكن سأحسن جوارك وأحسن إيسارك، فكن في أي بيوت السجن شئت¹⁸²، وبالتالي كانت نتيجة هذا الإحسان أن أقبل السجناء عليه، وأحبه السجناء أيضاً، كما أحبه كل من رآه لحسن خلقه وخلقه، ومن المعاني التي ذكرها المفسرون أيضاً "قَالَ بَعْضُهُمْ: إحسانه في السجن؛ لما كانوا رأوه يداوي المرضى، ويعزي حزينهم، ويجتهد في نفسه في العبادة لربه. هذا يحتمل لعله كان يبرّ أهل السجن ويصلهم، ويجتهد في العبادة لله في الصلاة له والصوم، وأنواع العبادة التي تكون فيما بينه وبين ربه، فسمياه محسناً لذلك. ويشبه أن يكون قالوا: إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ لما رأوا به سيما الخير وآثاره، أو يدعوه إلى توحيد الله والعبادة له، وخلعهم عن عبادة الأصنام والأوثان والانتزاع من ذلك، فسمياه محسناً لذلك"¹⁸³.

والمرة الثانية التي ذكر الله تعالى نبيه يوسف بهذه الصفة، لما طلب إخوة يوسف منه أن يقتص من أحدهم، بدل أخيه الصغير بنيامين، عندما اتهمه يوسف عليه بسرقة صواع الملك فـ "قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ)"¹⁸⁴، وفي معناها قال بعض المفسرين: "ثم قالوا: "إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ)"، "لو فعلت ذلك. وقيل: من المحسنين إلينا في توفية الكيل، وحسن الضيافة، وردّ البضاعة. وقيل: من المحسنين في أفعالك، وقيل: لما اشتدّ القحط على القوم، ولم يجدوا ما يشترون به من الطعام، وكانوا يبيعون أنفسهم، فصار ذلك سبباً لصيرورة أكثر أهل مصر عبيداً له، ثم أعتق الكلّ قالوا: "إِنَّا نَرَاكَ

¹⁸² الطبري، جامع البيان = تفسير الطبري: 157/13.

¹⁸³ محمد بن محمد بن محمود الماتريدي، تفسير الماتريدي تأويلات أهل السنة : تح: مجدي باسلوم، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 2005 م) 238/6.

¹⁸⁴ يوسف: 78/12.

مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٨٥﴾ إلى عامة النَّاسِ بالإعتاق، فكن محسناً أيضاً إلى هذا الإنسان بالإعتاق من هذه المحنة" ¹⁸⁵.

وقد رفع الله مكانته بما امتلك من صفات الخير والإحسان، وأثابها عليها برفع درجته في الدنيا إلى مقام النبوة والملك، وفي الآخرة أيضاً ففي صحيح مسلم من رواية أنس في حديث الإسراء والمعراج قال p : «ثم عرج بي إلى السماء الثالثة فاستفتح جبريل فقيل: من أنت ومن معك؟ قال محمد p، قيل وقد بعث إليه؟ قد بعث إليه، قال ففتح لنا فإذا أنا بيوسف p وإذ هو قد أعطي شَطْرَ الْحُسْنِ» ¹⁸⁶.

4 - معنى الكفاءة والعدل:

أثنى الله على مجموعة من الصفات والمعاني التي حازها سيدنا يوسف عليه السلام، في ثانيا السورة الكريمة، لتذكير نبيه ﷺ أولاً بالقيام بالسير على هدى الأنبياء عليهم السلام قبله، وأن درجة التمكين لا تتأتى من فراغ، وإنما تحتاج إلى جهاد ومكابدة وصبر وإحسان، ويضاف إليها العدل، بل ربما كانت هذه الصفة من أهم الصفات، لأن الأمم إنما ترتفع بالعدل، وتهلك وتباد بالظلم، وكذلك ترافقت هذه الصفة عند سيدنا يوسف مع الكفاءة فإدارة الأزمة الاقتصادية - كما نسميها اليوم - ترافقت مع عدل في توزيع الغلال والأرزاق على كل المنكوبين من الجذب والقحط، في مصر أو البلاد المجاورة لها، وهاتان الصفتان ذكرهما الله تعالى على لسان نبيه يوسف بعد أن برّاه من جميع التهم المنسوبة إليه، على لسان امرأة العزيز ونسوة المدينة، ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ ¹⁸⁷، ثم قال مرة أخرى على لسانه: ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْمُ﴾ ¹⁸⁸، وقد ذكر العلماء والمفسرون معاني عديدة، أهمها ما قاله السعدي في تيسير المنان: "وكذلك لا تدم الولاية، إذا كان المتولي فيها يقوم بما

¹⁸⁵ الحنبلي، الباب في علوم الكتاب: 176/11.

¹⁸⁶ مسلم، المسند الصحيح = صحيح مسلم: 145/1، كتاب: الإيمان، باب: الإسراء برسول الله p إلى السماوات وفرض الصلوات.

¹⁸⁷ يوسف: 54/12.

¹⁸⁸ يوسف: 55/12.

يقدر عليه من حقوق الله وحقوق عباده، وأنه لا بأس بطلبها، إذا كان أعظم كفاءة من غيره، وإنما الذي يذم، إذا لم يكن فيه كفاية، أو كان موجودا غيره مثله، أو أعلى منه، أو لم يرد بها إقامة أمر الله، فبهذه الأمور، ينهى عن طلبها، والتعرض لها.

ومنها: أن الله واسع الجود والكرم، وجود على عبده بخير الدنيا والآخرة، وأن خير الآخرة له سببان: الإيمان والتقوى، وأنه خير من ثواب الدنيا وملكها، وأن العبد ينبغي له أن يدعو نفسه، ويشوقها لثواب الله، ولا يدعها تحزن إذا رأت أهل الدنيا ولذاتها، وهي غير قادرة عليها، بل يسليها بثواب الله الأخرى، وفضله العظيم لقوله تعالى: "(وَلَا جُزْءَ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ)". ومنها: أن جباية الأرزاق - إذا أريد بها التوسعة على الناس من غير ضرر يلحقهم - لا بأس بها، لأن يوسف أمرهم بجباية الأرزاق والأطعمة في السنين المخصبات، للاستعداد للسنين المجربة، وأن هذا غير مناقض للتوكل على الله، بل يتوكل العبد على الله، ويعمل بالأسباب التي تنفعه في دينه ودنياه. ومنها: حسن تدبير يوسف لما تولى خزائن الأرض، حتى كثرت عندهم الغلات جداً حتى صار أهل الأقطار يقصدون مصر لطلب الميرة منها، لعلمهم بوفورها فيها، وحتى إنه كان لا يكيل لأحد إلا مقدار الحاجة الخاصة أو أقل، لا يزيد كل قادم على كيل بغير وحمله.

ومنها: مشروعية الضيافة، وأنها من سنن المرسلين، وإكرام الضيف لقول يوسف لإخوته "(أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ)"¹⁸⁹.

وقال ابن الجوزي أيضاً مؤكداً هاتين الصفتين: "فلما أخرج من السجن فوض إليه أمر مصر، فجمع الأقوات في زمن الرخاء، وباع في زمن القحط، فروي أنه باع مكوك برٍّ بمكوك درٍّ، وباع أهل مصر بأموالهم وحليهم ومواشيهم وعقارهم وعبيدهم، ثم بأولادهم ثم برقابهم، ثم قال: إني قد أعتقتهم ورددت عليهم أموالهم

190،

¹⁸⁹ السعدي، تيسير الكريم الرحمن = تفسير السعدي: 407/1.
¹⁹⁰ ابن الجوزي، أبو الفرج، التبصر (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1986م) 183/1.

وماذا كانت النتيجة، التمكين في الأرض، والربح في الدنيا والآخرة، قال سبحانه وتعالى عَقِبَ هَاتَيْنِ الْأَيْتِينَ الْكَرِيمَتَيْنِ: "﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ* وَلَا جُزْ الْأَخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾" ¹⁹¹.

2,3. المبحث الثاني: مراتب التمكين:

ذكرنا سابقاً أن الله سبحانه وتعالى كرر كلمة التمكين في كتابه العزيز باشتقاقاتها المختلفة مرات عديدة، وأن معانيها المختلفة تؤكد على معنى واحد هو أن الله تعالى يكتب التمكين في الأرض لرسله وأوليائه وللمؤمنين، ولكن بشروط؛ قال تعالى في ختام سورة يوسف عليه السلام: "﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَرَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾" ¹⁹²، اختتم الله تعالى السورة بهذه العبرة والعظة، لكي تنبه قارئها وسامعها على معنى عظيم من أهم معانيها، وهو أن العاقبة والغلبة والنصر تكون لرسول الله وأتباعهم، والذلة والعذاب والقهر تكون لمخالفهم، مهما طال الزمن، واشتدت عوادي المحن، قال تعالى مؤكداً هذا المعنى: "﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾" ¹⁹³ وهذا التمكين لا يكون إلا بشروط، ومن أهم تلك الشروط، إقامة شرع الله تعالى في الأرض أي: التوحيد والعدل وعدم الظلم والفساد، يقول تعالى: "﴿الَّذِينَ إِن مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾" ¹⁹⁴ وبالتالي بحسب مفهوم الموافقة والمخالفة ¹⁹⁵، فإن العكس يقتضي العكس أي: عدم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الأمة عواقبه سلب

¹⁹¹ يوسف: 56/12 - 57.

¹⁹² يوسف: 110/12.

¹⁹³ المجادلة: 21/58.

¹⁹⁴ الحج: 41/22.

¹⁹⁵ مفهوم الموافقة: أن يكون المسكوت عنه موافقاً للمنطوق في الحكم، ويسمى بـ "فحوى الخطاب"، مفهوم المخالفة: أن يكون المسكوت عنه مخالفاً للمنطوق في الحكم ويسمى بـ "دليل الخطاب". ينظر: حامد قنبي ومحمد رواس قلعجي، معجم لغة الفقهاء: 447/1.

سنة التمكين؛ قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾¹⁹⁶.

والتمكين ليس درجة واحدة، وليس مرتبة واحدة، وإنما هو مراتب متفاوتة، ذكرها صاحب كتاب الوعد بالتمكين لدعوات المرسلين وسف أخصها في هذا البحث، ثم أعلّق عليها:

1 - المرتبة الأولى: السلامة من الخسران:

ذكر الشهري مؤلف كتاب الوعد بالتمكين¹⁹⁷ أن هذه المرتبة أو الدرجة هي أولى المراتب، وأن سورة العصر تلخص أهم الخصال التي يجب أن تتوفر في الإنسان المؤمن، لكي يحصل على التمكن وأسباب النصر قال تعالى: ﴿وَالْعَصْرُ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ فالخصال هي بالترتيب: الإيمان، ثم العمل الصالح، ثم أن يعتصم بجماعة المؤمنين، ثم التواصي بالحق، ثم التواصي بالصبر.

ويرى المؤلف: أن الإنسان يجب أن يرفع عن نفسه دخائل الخسارة وموجبات النقص، لكي يتم له التمكين وأسباب النصر¹⁹⁸.

وفي الحقيقة أن هذه الخصال مثلها سيدنا يوسف أحسن تمثيل، للحصول على أسباب النصر ورتبة التمكين، قال سبحانه وتعالى على لسان يوسف واصفاً صبره وتقواه: ﴿قَالُوا أَأَتَاكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾¹⁹⁹ فما يراه الإنسان من ظواهر الأمور، قد تُعْمي بصره عن الحقيقة الكامنة فيها، كما فعل إخوة يوسف حين نظروا

¹⁹⁶ الأنعام: 6/6.

¹⁹⁷ أحمد بن حمدان الشهري، عوامل النصر والتمكين في دعوات المرسلين: (السعودية: موقع وزارة الأوقاف السعودية، ٢٠٠٨م)، 37.

¹⁹⁸ الشهري، عوامل النصر والتمكين: 37.

¹⁹⁹ يوسف: 90/12.

إلى ظاهر حال أخيه في أبهة الملك، ولم يفتنوا إلى أسباب الوصول والتمكن الحقيقية حتى دلهم عليها بقوله "(إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ)" ²⁰⁰ ليعرفهم أن حقيقة الوصول إلى الملك والتمكن لا تُنال إلا بالصبر والتقوى.

وأما خصلة التواصي بالحق والصبر، فلم يغفل عنها النبي الكريم في أحلك الظروف والمواقف، فها هو في قصر العزيز وفي حالة الرقّ والخدمة، يرفض اغراءات امرأة العزيز وشهواتها، وهي السيدة المطاعة المخدومة المترفة، وربما عبّر الزرقاني عن هذا الموقف أجمل تعبير فقال: "ثم انظر إلى القرآن وهو يسوق قصة يوسف مثلاً كيف يأتي في خلالها بالعظمت البالغة ويطلع من خلالها بالبراهين الساطعة على وجوب الاعتصام بالعفاف والشرف والأمانة إذ قال في فصل من فصول تلك الرواية الرائعة "(وَرَاودَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ)" فتأمل في هذه الآية كيف قوبلت دواعي الغواية الثلاث بدواعي العفاف الثلاث مقابلة صورت من القصص الممتع جدالاً عنيفاً بين جند الرحمن وجند الشيطان ووضعتها أمام العقل المنصف في كفتي ميزان" ²⁰¹.

وكذلك لما دخل النبي الكريم السجن، لم تمنعه الظروف عن الظهور بأحسن صورة من التقوى والصبر والإحسان مخففاً عنهم آلامهم وأحزانهم على الرغم مما هو فيه، فيوصي من حوله بالصبر والاحتساب، ويدعوهم إلى عبودية الواحد القهار، يقول د. محمد أبو زهرة: "وإنك لترى الدعوة إلى التوحيد واضحة في قصة يوسف -عليه السلام، فهو في السجن يدعو إلى التوحيد وعبادة الله وحده، ويجعل سلواه وهو في السجن الدعوة إلى الوحدانية، وسوق الأدلة، فالله تعالى يحكي عنه أنه يقول لصاحبيه في السجن: "(قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكَمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ

²⁰⁰ يوسف: 90/12.

²⁰¹ محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن (مصر: مطبعة عيسى البابي الحلبي، ط3، د.ت)، 314/2.

كَافِرُونَ وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ يَا صَاحِبِي السِّجْنِ أَرَبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ²⁰².

انظر إلى الاستدلال القيم على أن الواحد الأحد خير من أرباب متفرقين، يتيه العقل فيهم، وأنهم لا حقائق لهم تتعلق بالألوهية، ثم يذكر ذلك عقب أن بين تأويل ما عجز عنه المأولون من رؤى، وقال: أنه قد علمه ربه²⁰³، ويقول الدكتور قطب: "وينتهز يوسف هذه الفرصة ليبيث بين السجناء عقيدته الصحيحة فكونه سجيناً لا يعفيه من تصحيح العقيدة الفاسدة والأوضاع الفاسدة، القائمة على إعطاء حق الربوبية للحكام الأرضيين، وجعلهم بالخضوع لهم أرباباً يزاولون خصائص الربوبية، ويصبحون فراعين! ويبدأ يوسف مع صاحبي السجن من موضوعهما الذي يشغل بالهما، فيطمئنهما ابتداءً إلى أنه سيؤول لهم الرؤى، لأن ربه علمه علماً لدنياً خاصاً، جزاء على تجرده لعبادته وحده، وتخلصه من عبادة الشركاء²⁰⁴. وبذلك يكون سيدنا يوسف قد حصل على أعلى مراتب التمكين والوصول إلى النبوة والملك عن جدارة، بما توفر فيه من خصال حميدة كريمة.

2 - المرتبة الثانية: التأييد

يذكر مؤلف الكتاب أن التأييد معناه التقوية، وأنه مرحلة من مراحل التمكين تدخل كل مجال من مجالات الدعوة إلى الله، كسداد حجة أو رأي، أو التأييد بالنصر أو بالجماعة، كما أيد الله تعالى سيدنا عيسى عليه السلام بروح القدس قال تعالى: "(

²⁰² يوسف: 38/12 - 39 - 40.

²⁰³ محمد بن أحمد بن مصطفى أبو زهرة، المعجزة الكبرى القرآن، (بيروت: دار الفكر العربي، ٢٠٠٢م) 142/1.

²⁰⁴ سيد قطب، في ظلال القرآن: 1988/4.

وَأَتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيْتَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ﴿٢٠٥﴾، وكما أيد الله سبحانه وتعالى رسوله ﷺ بشاعره حسنا بن ثابت حين قال له النبي المصطفى "إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَيُؤَيِّدُ حَسَانَ بَرُوحِ الْقُدُسِ، يُنَافِحُ عَنْ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ" ²⁰⁶، وذكر المؤلف أن هذه المرتبة أعلى من المرتبة السابقة ²⁰⁷.

وفي الحقيقة أن الله عز وجل أيد سيدنا يوسف عليه السلام بعدة أمور منها تعبير الرؤيا الذي كانت سببا لخلاصه من السجن، وأيده بالحكمة والرأي الصائب حتى نجحت حيلته مع إخوته؛ فمنعهم في رحلتهم الأولى إلى مصر الميرة والطعام، ثم استدرجهم بلطف صنعه لجلب أخيه الأصغر بنيامين، ورماه بسرقة صواع الملك، وأوقعتهم مكيدته في حيرة ويأس وعذاب وتخبط، قال تعالى واصفاً تأييده لسيدنا يوسف عليه السلام: ﴿وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ ²⁰⁸ قال المفسرون في هذه الآية: "﴿وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ﴾" فيه ثلاثة أقاويل: أحدها: بحسن الخلق والخلق. الثاني: بترك الانتقام. الثالث: بالنبوة، "﴿وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾" فيه ثلاثة تأويلات: أحدها: عبارة الرؤيا، قاله مجاهد. الثاني: العلم والحكمة، قاله ابن زيد. الثالث: عواقب الأمور ²⁰⁹.

وقال سبحانه وتعالى يذكر تأييده ليوسف: "﴿كَذْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾" ²¹⁰، قال ابن الجوزي: "حَفِظَ يُوسُفَ لَعَلَّمَهُ بَعْلَمَ الْيَقِينِ، فَأَلْبَسَهُ عِنْدَ الْهَمِّ دُرُوعاً يَقِينٍ، وَمَلَّكَهُ إِذْ مَلَكَ عِنَانَ الْهَوَى مَيْدَانَ السَّابِقِينَ، فَذَلَّ لَهُ إِخْوَتُهُ يَوْمَ: ﴿وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ

²⁰⁵ البقرة: 87/2.

²⁰⁶ أحمد بن حنبل، المسند: مسند الصديقة عائشة رضي الله عنها، رقم الحديث: 24437 حكم الحديث: صحيح.

²⁰⁷ الشجري، عوامل النصر والتمكين: 42.

²⁰⁸ يوسف: 6/12.

²⁰⁹ الماوردي، النكت والعيون = تفسير الماوردي: 8/3.

²¹⁰ يوسف: 76/12.

﴿...﴾" (قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ أَثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ) ²¹¹، وقال السعدي في تفسيره "ومنها: ما في هذه القصة من الألفاظ المتنوعة المسهّلة للبلاء: منها رؤيا يوسف السابقة؛ فإن فيها روحاً ولطفاً بيوسف وبيعقوب، وبشارة بالوصول إلى تأويلها، ولطف الله بيوسف إذ أوحى إليه وهو في الحب لتنبئهم بأمرهم هذا، وهم لا يشعرون، وتنقلاته من حال إلى حال، فإن فيها أطافاً ظاهرة وخفية؛ ولهذا قال في آخر الأمر: ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ﴾" ²¹².

وبذلك تحقق ليوسف عليه السلام هذه الدرجة وتلك المرتبة من التمكين، أيده الله تعالى بنصره، وأعزه ورفع مقامه.

3 - المرتبة الثالثة: الظهور

قال مؤلف عوامل النصر والتمكين معناه القوة مع البروز، وهذه المرتبة نتاج مرتبة التأييد وحصيلتها، كما قال تعالى في شأن الحواريين: ﴿قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَأَمَنْتَ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرْتَ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾ ²¹³، ويرى صاحب الكتاب أن أمة محمد ﷺ تختص بهذه المرتبة، وأن الأمة مهما أصابها من نكبات وضعف فلن تنعدم هذه المرتبة، وهي الظهور، عند فئة أو جماعة في شرق الأمة أو غربها، استناداً إلى قول النبي عليه الصلاة والسلام: " لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة" ²¹⁴.

لقد كتب الله تعالى ليوسف عليه السلام ظهور الدعوة في حياته فقال سبحانه وتعالى ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ﴾ ²¹⁵ لكن دعوته قد انتهت بمجرد موته، استناداً إلى ما جاء في الآية السابقة، ويعمل

²¹¹ ابن الجوزي، التبصرة: 181/1.

²¹² يوسف: 100/12.

²¹³ الصف: 14/61.

²¹⁴ مسلم، الجامع الصحيح = صحيح مسلم: 137/1، باب نزول عيسى عليه السلام، رقم الحديث: 247 - 156.

، حكم الحديث: صحيح.

²¹⁵ غافر: 34/40.

أحد الباحثين ذلك أن يوسف عليه السلام لم يكن من أهل مصر، والدليل على ذلك "أن اختيار التعبير القرآني لبعض الكلمات التاريخية كالعزير في قصة يوسف، وكاختيار تعبير الملك في القصة نفسها، واختيار كلمة فرعون في قصة موسى، فعرفت أن هذه ترجمات دقيقة لما كان يُستعمل في تلك الأزمان السحيقة فالعزير أدق ترجمة لمن يقوم بذلك المنصب في حينه، وأن المصريين القدامى كانوا يفرقون بين الملوك الذين يحكمونهم فيها إذا كانوا مصريين أو غير مصريين، فالملك غير المصري الأصل، كانوا يسمونه الملك، والمصري الأصل يسمونه فرعون وأن الذي كان يحكم مصر في زمن يوسف غير مصري، وهو من الهكسوس فسماه الملك، وأن الذي كان يحكمها في زمن موسى هو مصري فسماه فرعون، فسمى كل واحد بما كان يُسمى في الأزمنة السحيقة"²¹⁶ وبالتالي فإن تقبل الدعوة من غير المصريين كانت ضعيفة القبول لدى أوساط الشعب.

ولكن الله سبحانه وتعالى امتن على يوسف عليه السلام برتبة الظهور في حياته، قال الإمام القرطبي: "سُمِّيَتْ أحسن القصص؛ لأنَّ كل من ذكر فيها كان مآله إلى السَّعادة، وانظر إلى يوسف، وأبيه وإخوته، وامرأة العزير، قيل: والملك أيضاً أسلم بيوسف، وحسن إسلامه، ومستعبر الرؤيا السَّاقِي"²¹⁷.

إلا أننا لا نعلم شيئاً عن تفاصيل حياته بعد حضور أهله من الشام وسجودهم له، ويبدو أنه اختار جوار ربه كما يفهم من قوله تعالى: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾"²¹⁸.

4 - المرتبة الرابعة: النصر

²¹⁶ فاضل بن صالح السامرائي، لمسات بيانية نصوص من التنزيل (الأردن/عمان، دار عمار، ط3، 2003م) 7/1.

²¹⁷ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي: 120/9.

²¹⁸ يوسف: 101/12.

وهذه المرتبة تعني كما يقول الشهراني نيل الظفر على العدو²¹⁹، وأنها وردت بهذا المعنى في قوله تعالى: ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾²²⁰، كما أنها تعني الانتقام وإعانة المظلوم كما جاءت في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ﴾²²¹، وأن الحاصل أن الله تعالى جزم بالنصر للرسول وأتباعهم المؤمنين كما قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ * إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ * وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾²²² وقال عز من قائل: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾²²³.

ولقد تكلمنا سابقاً على أن سنة التمكين من سنن الله في الأرض، وأن من نتائجها أن ينصر الله تعالى رسوله وأتباعهم، ويرفع أوليائه، ويقهر أعداءه. وقد نال يوسف عليه السلام هذه المرتبة أيضاً، وهذا يفهم من قوله تعالى في هذه السورة: ﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾²²⁴، وهذه الآية في خواتيم هذه السورة، كأن الله تعالى يقول للنبي عليه الصلاة والسلام وأتباعه من المؤمنين، وهم الذين طلبوا القصص، فقص الله عليهم قصة سيدنا يوسف، تأملوا وتفكروا في حال يوسف وما مرَّ به من المحن والفتن وأنواع الابتلاءات، كيف كانت عاقبته ملك مصر، والتمكين في الأرض، كما قال أحد المفسرين: "وقيل: إن إتمام النعمة هو: وصل نعم الدنيا بنعم الآخرة؛ بأن جعلهم في الدنيا أنبياء مملوكاً، ونقلهم عنها إلى الدرجات العلى في الآخرة"²²⁵.

5 - الغلبة:

²¹⁹ الشهراني، عوامل النصر والتمكين: 44.

²²⁰ آل عمران: 160/3.

²²¹ الشورى: 39/42.

²²² الصافات، 172/171.

²²³ الروم: 47/30.

²²⁴ يوسف: 110/12.

²²⁵ الحنبلي، الباب في علوم الكتاب: 19/11.

وهذه المرتبة كما ذكر صاحب كتاب عوامل التمكين أعلى من النصر، وهي تزيد عليه بالقوة مع القهر والشدة، وهي رتبة أعلى يصل بها التمكين إلى مشارف الكمال، وأن الله تعالى تكفل بها لرسله وجنده المؤمنين فقال تعالى: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَا غَلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ وقال سبحانه: ﴿وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾²²⁶ وقسم غلبة الأنبياء إلى قسمين:

الأولى: غلبة بالبيان والحجة

الثانية: غلبة بالسيف والسنان، لمن أمر بالقتال منهم.

ويرى أن أغلب معاني الغلبة تكون بالسيف والسنان²²⁷ كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾²²⁸.

وقد تحققت هذه الدرجة والمرتبة لسيدنا يوسف، وغلبته كانت بالحجة والبيان، قال تعالى في معرض بيان دعوة يوسف إلى التوحيد - وهو في السجن - ﴿يَا صَاحِبِ السِّجْنِ أَرَأَيْتَ إِنْ تَبْقَرُفُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ * مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾²²⁹ قال أبو زهرة: "انظر إلى الاستدلال القيم على أن الواحد الأحد خير من أرباب متفرقين، يتيه العقل فيهم، وأنهم لا حقائق لهم تتعلق بالألوهية، ثم يذكر ذلك عقب أن بين تأويل ما عجز عنه المؤولون من رؤى، وقال: أنه قد علمه ربه"²³⁰.

6 - الملك أو الولاية:

يذكر الشهراني أن ولاية الأمر ووحدة القيادة محتمة لازمة في كل مراحل ومراتب التمكين، وأن هذه الحال هي حالة التمكين العليا، وأنه ليس فوقها إلا

²²⁶ الصافات: 173/37.

²²⁷ الشهري، عوامل النصر والتمكين: 46.

²²⁸ الأنفال: 65/8.

²²⁹ يوسف، 39 - 40.

²³⁰ أبو زهرة، المعجزة الكبرى القرآن: 142/1.

الخلافة التي على منهاج النبوة، وأن الله سبحانه وتعالى امتن بإعطائه الملك لأقوام مؤمنين من أنبياء وغيرهم، ولأقوام كافرين²³¹. وبين - سبحانه - أنه لا يعطى لأحد إلا بإذنه وتصرفه وهو بيده فهو مالك الملك، قال سبحانه: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾²³² وقال عز من قائل: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾²³³.

والحقيقة أن الله سبحانه وتعالى كتب هذه الدرجة من التمكين لسيدنا يوسف عليه السلام، كما كتبها لغيره من الأنبياء السابقين قال تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ انْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ* قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ* وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُونَ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾²³⁴ قال السمعاني في تفسير قوله تعالى: ""(آيَاتُ السَّائِلِينَ)"" يَعْنِي: أَنَّهَا عِبْرٌ لِلْمُعْتَبِرِينَ فَإِنَّهَا تَشْتَمِلُ عَلَى ذِكْرِ حَسَدِ إِخْوَةِ يُوسُفَ لَهُ وَمَا آلَ إِلَيْهِ أَمْرُهُمْ فِي الْحَسَدِ، وَتَشْتَمِلُ عَلَى ذِكْرِ رُؤْيَاهُ وَمَا حَقَّقَ اللَّهُ مِنْهَا، وَتَشْتَمِلُ عَلَى مَا صَبَرَ يُوسُفَ عَنِ قَضَاءِ الشَّهْوَةِ، وَعَلَى الْعِبُودِيَّةِ فِي السَّجْنِ، وَمَا آلَ إِلَيْهِ أَمْرُهُ مِنَ الْمَلِكِ، وَتَشْتَمِلُ أَيْضاً عَلَى ذِكْرِ حُزْنِ يَعْقُوبَ وَمَا آلَ إِلَيْهِ أَمْرُهُ مِنَ الْوَصُولِ إِلَى الْمَرَادِ، وَذَهَابِ الْحُزْنِ عَنْهُ، وَغَيْرَ هَذَا مِمَّا يَذْكَرُ فِي السُّورَةِ؛ فَهَذِهِ عِبْرٌ لِلْمُعْتَبِرِينَ²³⁵.

سابعاً - الخلافة:

²³¹ الشهري، عوامل النصر والتمكين: 47.

²³² آل عمران: 26/3.

²³³ النساء: 54/4.

²³⁴ يوسف: 54 - 55.

²³⁵ السمعاني، تفسير القرآن: تح: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس، (الرياض/السعودية: دار الوطن، ط1، 1997م) 9/3.

وهذه الرتبة كما يقول صاحب كتاب عوامل التمكين هي أفضل الرتب وأعلاها، وهي أفضل من الملك، وهي الأصل، أي: خلافة النبوة²³⁶.

واستشهد لذلك بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾²³⁷ وذكر تعليق القرطبي على الآية الكريمة بالقول "هذه الآية أصل في نصب خليفة وإمام يسمع له ويطاع، لتجتمع به الكلمة، وتنفذ به أحكام الخليفة، ولا خلاف في وجوب ذلك بين الأمة"²³⁸.

ويرى أن كلَّ نبي مَلَك فهو خليفة كما قال تعالى: ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾²³⁹ ويرى أيضاً أن الحاكم يسمى خليفة وهو على غير نهج خلافة النبوة - أمثال من جاء من الحكام بعد الخلفاء الأربعة - فإنما ذلك من باب التجوز في التسمية والتوسع، وإلا فالحقيقة أنه ليس بخليفة يصدق عليه مصطلح خلافة النبوة المتعارف عليه عند المسلمين وعلمائهم²⁴⁰.

وقد تحققت هذه الرتبة أيضاً لسيدنا يوسف عليه السلام، لاجتماع الملك مع النبوة، وقد صدق الإمام الشافعي حين سئل يوماً: "أيما أفضل الصبر، أو المحنة، أو التمكين؟ فقال الشَّافِعِيُّ: التمكين درجة الأنبياء، ولا يكون التمكين إلا بعد المحنة، فإذا امتحن صبر، وإذا صبر مُكِّن، ألا ترى أن الله - عز وجل - امتحن إبراهيم عليه السلام ثم مَكَّنَه، وامتحن موسى عليه السلام ثم مَكَّنَه، وامتحن أيوب عليه السلام ثم مَكَّنَه، وامتحن سليمان عليه السلام ثم مَكَّنَه وآتاه ملكاً، والتمكين أفضل الدرجات، قال الله - عز وجل -: ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ﴾" الآية²⁴¹.

²³⁶ الشهري، عوامل النصر والتمكين: 54.

²³⁷ البقرة: 30/2.

²³⁸ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن - تفسير القرطبي: 264/1.

²³⁹ ص: 26/38.

²⁴⁰ الشهري، عوامل النصر والتمكين: 54.

²⁴¹ الشافعي، تفسير الإمام الشافعي: 978/2.

3.3. المبحث الثالث: الثمرات المتحققة لسيدنا يوسف عليه السلام:

لاشك أن الثمرات التي جناها سيدنا يوسف عليه السلام – بعد صبره على أنواع الابتلاءات – كبيرة وعظيمة، أولها:

1 – من الجبِّ إلى القصر:

كان خروج سيدنا يوسف من الجب، بعد أن كاد له إخوته بسبب الغيرة والحسد، مقدّمة لملكه وعزه، خرج من الجب إلى القصر، وقد توسّم فيه عزيز مصر مخايل الذكاء والنجابة بالإضافة إلى الحسن، فطلب إلى من في القصر إكرامه وإعزازه، ولذلك روي عن عبد الله بن مسعود أنه قال: "أصح الناس فراسة ثلاثة: العزيز حين قال لامرأته: أكرمي مثواه، وابنة شعيب حين قالت: «استأجره، إن خير من استأجرت القوي الأمين» وأبو بكر حين استخلف عمر بن الخطاب²⁴².

وقال القاضي أبو محمد: "وفراسة العزيز إنما كانت في نفس نجابة يوسف لا أنه تفرس الذي كان كما في المثالين الآخرين، فإن ما تفرس خرج بعينه"²⁴³.

قال تعالى ذاكراً هذه النعمة العظيمة عليه: ﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾²⁴⁴ يقول محمد أبو زهرة تعليقاً على نعمة الله تعالى يوسف عليه السلام بإنقاذه من الجب: "ألقي يوسف في الجبِّ، وصارت حياته عرضة لكل مفترس، وقد ذكرنا آخذين مما تلونا أنه لم تصبه رعدة الخوف، وألقى في قلبه الاطمئنان، وألهمه الله تعالى أنه ناج، وأنه سينبئ إخوته بأمرهم في وقت يكونون فيه في البأساء، وهو في السراء، ويكون هو العزيز بعناية الله تعالى وهم الأذلاء. ولم يمكث في الجب طويلاً، بل جاء جماعة ممن يسировون في الصحراء، وألقوا في الجب دلوهم ليستنبطوا ماء، فرأوا غلاماً استبشروا به، وكان في ذلك الزمن وما قبله وما بعده يفرض الرق على كل

²⁴² ابن عطية، المحرر الوجيز = تفسير ابن عطية، 231/3.

²⁴³ المصدر السابق: 231/3.

²⁴⁴ يوسف: 21/21.

غريب، حتى جاء الإسلام فألغى هذا وغيره، وقد أخذوه بضاعة، وباعوه بثمن بخس دراهم معدودة، ولم يكونوا راغبين في بقاءه، وقد توسّم الذي اشتراه من مصر فيه الخير، وقال لامرأته: أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدًا، وبذلك رُبّي في كلاءة ربه كما صنع مع موسى؛ إذ ألقاه إخوته في الجبِّ حسدًا وإيذاء، كما أُلقت أم موسى ولدها وقد وضعت في التابوت حرصًا أو فرارًا به من الموت. وبهذه المحبة التي أضفاها الله على من اشتراه مكن الله ليوسف في الأرض وألهمه الحكمة"²⁴⁵.

2 - من السجن إلى خزائن الأرض:

لبث يوسف في السجن بضع سنين ظلمًا، وكانت محنة السجن أشد وأعظم عليه من محنة الجب، كما يقول العلماء: "وما ذاك إلا لمصاحبته الأوباش والأردال وأعداء الدين، بخلاف مصيبة الجب فإنه كان مؤنسه فيه جبريل وغيره من الملائكة عليهم الصلاة والسلام"²⁴⁶. أنموذج جليل للرازي، وذكر صاحب البرهان أسباباً أخرى لخصها في ثلاثة أمور: " قصر المدة في الجب وطولها في السجن، وأن الجب كان في حال صغره ولا يعقل فيها المصيبة ولا تؤثر في النفس كتأثيرها في حال الكبر، والثالث أن أمر الجب كان بغياً وظلمًا لأجل الحسد، وأمر السجن كان لعقوبة أمر ديني هو منزله عنه، وكان أمكن في نفسه"²⁴⁷، ولكن الله سبحانه وتعالى حقّق له بصبره على البلوى، ومثابرتة في الدعوى، أعظم الثمار، فخرج من السجن وحصل على براءته التامة أمام الملك باعتراف امرأة العزيز بعفاف يوسف، وشهادتها ببراءته، وأن دخوله السجن كان بتدبير منها، وبذلك نال الثقة التامة من الملك، ليصبح من رجالات الدولة، يدير الشؤون المالية والاقتصادية فيها بحكمة وحكمة؛ قال تعالى مصوراً نعمته عليه: ﴿ قَالَ الْمَلِكُ انْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ * قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي قَدْ صُلَّيْتُ عَلَى الْعَمَلِ فَأَنْصِتْ لِلْغَايَةِ ﴾ (يوسف: 21-24).

²⁴⁵ أبو زهرة، المعجزة الكبرى القرآن: 386/1.

²⁴⁶ أبو بكر الرازي، أنموذج جليل في أسئلة وأجوبة عن غرائب آي التنزيل: تح: عبد الرحمن بن إبراهيم المطرودي، (الرياض/السعودية: دار عالم الكتب، ط1، 1991م)، 226/1.

²⁴⁷ الزركشي، البرهان في علوم القرآن: تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، (مصر: دار إحياء الكتب العربية مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط1، 1957م)، 61/4.

حَفِيطٌ عَلِيمٌ * وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُونَ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ²⁴⁸. يقول أبو زهرة في الكلام على الآيات ووصف المنحة بعد المحنة وأسبابها ونتائجها: "هذه وقائع وقعت من وقت أن دخل يوسف السجن إلى أن خرج منه مستوليًا على خزائن يديرها بحكمته، ويسير نظامه بإرادته، وتعلمه من ربه، وهو نبي يوحى إليه، وكل واقعة من هذه فيها تنبيه إلى ناحية من نفس الإنسان، وارتباطه بالمجتمع الذي يعيش فيه، فدخله السجن لكمال خلقه، وكمال جسمه، وما كان حوله، وما يفعله الحكام ليدروا عن سمعتهم ما ينالها من سوء صادق، ويكشف فيه عن نفس المرأة وسيطرة العاطفة عليها، وكيف دفعتها عاطفتها في موقفها الأول من مرادته، ثم ما كان من إصرارها بعد أن أخذت المعذرة المسوغة من النسوة، ثم ما كان من عاطفة المحبة التي انتقلت من مرادة إلى اعتراض، وإلى استغفار"²⁴⁹.

3 - من خزائن الملك إلى الملك:

أنعم الله سبحانه وتعالى على يوسف بالملك والسلطنة، بعد أن أحسن تدبير الشؤون الاقتصادية في المملكة لاسيما في سنوات القحط، حتى قال المفسرون: "حسن تدبير يوسف لما تولى خزائن الأرض، حتى كثرت عندهم الغلات جداً، حتى صار أهل الأقطار يقصدون مصر لطلب الميرة منها، لعلمهم بوفورها فيها، وحتى إنه كان لا يكيل لأحد إلا مقدار الحاجة الخاصة أو أقل، لا يزيد كل قادم على كيل بغير وحمله"²⁵⁰، وفي الموسوعة القرآنية أن يوسف عليه السلام "استطاع بحكمته أن ينجي مصر من المجاعة، وأن يدّخر القمح في سنابلها، والذرة في كيزانها، وأن يدير التموين والأموال، وأن يحفظ لمصر مكانتها وفضلها فاستطاعت أن تساعد نفسها، وأن تمديد العون لما حولها من البلاد"، قال تعالى في ذكر هذه النعمة على

²⁴⁸ يوسف: 54/12 - 55 - 56.

²⁴⁹ أبو زهرة، المعجزة الكبرى القرآن: 389/1.

²⁵⁰ السعدي، تيسير الكريم الرحمن = تفسير السعدي: 407/1.

لسان سيدنا يوسف: "(رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ)" قال المفسرون: "يعني أعطيتني الملك: من هاهنا صلة؛ ونحوه كثير"²⁵¹.

4 - قدوم أهله عليه وارتفاعه على العرش وسجودهم له:

هذه آخر الثمرات التي تحققت لسيدنا يوسف عليه السلام، بعد أن كابد ماكابد، وعانى ما عانى، من أنواع الفتن والبلايا، ساق الله تعالى إخوة يوسف إليه من حيث لا يشعرون "(وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ)"²⁵²، وبمحببة الله تعالى له "لَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَاهُ اللَّهُ تَعَالَى حِكْمَةً وَقُدْرَةً عَلَى الْحُكْمِ عَلَى الْأَشْيَاءِ وَالْأَشْخَاصِ، وَصَبْرًا وَإِدْرَاكًا"²⁵³. لقد كاد الله تعالى ليوسف فعاش الأخوة المذنبون في أزمة نفسية وحيرة وألم، حين احتجز يوسف الملك أخاه بنيامين بحسن صنيعه، فندموا بعد أن لم ينفع الندم، وأحسوا بذلك الذنب القديم الذي دفعهم إلى تدبير جريمتهم ومؤامرتهم، وفي قمة الحيرة والندم يكشف يوسف لهم الحقيقة، ويعرّفهم بنفسه، ويعفو عنهم مع القدرة عليهم، ويخلع قميصه لكي يذهبوا به إلى أبيه يعقوب، الذي أعماه الحزن على ولديه يوسف وبنيامين، وفي القميص دلالات رمزية وفنية ذكرها المفسرون قديماً وحديثاً فقالوا: "وفي القميص ثلاث آيات: حين جاءوا عليه بدم كذب، وحين قُدَّ قميصه من دُبر، وحين أُلقي على وجه أبيه فارتد بصيراً"²⁵⁴، ففيه: دلالاته على كذبهم، وشهادته في قَدِّه، ورد بصر يعقوب به. وقال صاحب زهر الكمامة: "كان ليوسف عليه السلام ثلاثة أقمص: قميص العلامة، وقميص الشهادة، وقميص البشارة، وقميص العلامة دليل حسد الإخوة، وقميص الشهادة بريء من الدعوة، وقميص البشارة جمع بينه وبين من يهوى"²⁵⁵.

²⁵¹ يحيى بن سلام الإفريقي القيرواني، التصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسمائه وتصرفت معانيه، قدمت له تح: هند شلبي (تونس: الشركة التونسية للنشر والتوزيع، 1979م) 229/1.

²⁵² يوسف: 21/12.

²⁵³ أبو زهرة، المعجزة الكبرى القرآن: 386/1.

²⁵⁴ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي: 149/9.

²⁵⁵ عمر بن إبراهيم بن عمر الأوسي، زهر الكمام في قصة يوسف عليه السلام: تح: كمال الدين (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 2003م)، 51.

لقد سجّل سبحانه وتعالى ذلك اللقاء لقاء يوسف بأهله وفرحتهم الغامرة بلقائه وفرحته بلقائهم قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبْوِيهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ وَرَفَعَ أَبْوِيهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾²⁵⁶ واختلف العلماء في حقيقة سجودهم له، فقال الجصاص: "قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا ﴾" عن قتادة أن الطاعة كانت لله تعالى في السجود لآدم أكرمه الله بذلك، وروى معمر عن قتادة في قوله: ﴿ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا ﴾، قال: كانت تحيتهم السجود وليس يمتنع أنك يكون ذلك السجود عبادة وتكرمة وتحية لآدم عليه السلام، وكذلك سجود إخوة يوسف عليهم السلام وأهله له، وذلك لأن العبادة لا تجوز لغير الله تعالى، والتحية والتكرمة جائزان لمن يستحق ضرباً من التعظيم .. وقد كان السجود جائزاً في شريعة آدم عليه السلام للمخلوقين، ويشبه أن يكون قد كان باقياً إلى زمان يوسف عليه السلام، فكان فيما بينهم لمن يستحق ضرباً من التعظيم، وإيراد إكرامه وتبجيله بمنزلة المصافحة والمعانقة فيما بيننا وبمنزلة تقبيل اليد²⁵⁷.

ونختم هذا المبحث بكلام الفيروزآبادي – في بصائره – إذ جمع وقابل بين كلّ محنة مرّ بها يوسف عليه السلام ، وكلّ منحة أنعمها الله عليه مقابل تلك المحنة، يقول: " محنة الله تعالى بعشر محن، وكافأه بعشر منح: الأول: بفراق أبيه وختم بمسرة: ﴿ وَرَفَعَ أَبْوِيهِ عَلَى الْعَرْشِ ﴾"، وابتلي بجفاء الإخوة وخيتم بمسرة: ﴿ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا ﴾"، وابتلي بوحشة الجب وجوزي بفرحة: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَهُمْ

²⁵⁶ يوسف: 99/12 – 100.

²⁵⁷ أحمد بن علي الجصاص، أبو بكر، أحكام القرآن: تح: عبد السلام محمد شاهين، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1994م) 36/1 – 37.

بِأَمْرِ هَذَا) ، وابتلي بملكة عزيز مصر وكوفيء بملكة أهل مصر قاطبة: " (مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ) ، وابتلي بقصد زليخا ونجا بشهادة طفل لم ينطق بعد: " (وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا) ، وابتلي بحيلة نساء مصر وختم ببراءته وقولهن: " (مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ) ، وابتلي بدعوة الشيطان وصين بعصمة الرحمن: " (كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ) ، وابتلي بالسجن والحبس وكوفيء بالملك والسلطنة: " (يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ) ، وابتلي بالزور والبهتان وصار ذلك أظهر من كل عيان: " (الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ) ، وابتلي بالمال والملك واتساع الدنيا، وأبعد عنه ضررها بولاية المولى في الآخرة والأولى: " (أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ) "258.

٤. الفصل الثالث: الرؤية الفنية في آيات الملك والتمكين:

²⁵⁸ الفيروزآبادي، أبو طاهر، بصائر نوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: تح: محمد علي النجار، (القاهرة: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، 1996م) 49/6.

المبحث الأول: الشخصيات ورموزها

المبحث الثاني: الحدث الدرامي وعناصره

المبحث الثالث: دراسة الصورة ومكانتها



مدخل:

تتمثل الرؤية الفنية في سورة يوسف من خلال الوقوف على أبرز ظاهرة فنية برزت فيها، وهي ظاهرة القصّ القرآني الذي يعدُّ من وسائل التعبيرية التي جمعت بين الغايتين الدينية، والفنية، تتمثل الأولى في الإقناع من خلال ما يتضمنه

القص القرآني من وعظٍ وعبرة، أما الثانية فتتجسد فيما يحدثه أسلوب القص من متعة في النفس بما يتضمنه من أحداث، وشخصيات، وتصوير بلاغي.

وينقسم القصص القرآني إلى ثلاثة أنواع:

- 1- قصص الأنبياء، ومنها قصة يوسف عليه الصلاة والسلام.
 - 2- قصص قرآني لأحداث جرت في زمنٍ ماضٍ مع أشخاص لم تثبت نبوتهم، مثل قصة أهل الكهف، وذو القرنين وقارون وغيرها.
 - 3- قصص مرتبطة بالحوادث التي حدثت في عصر النبي صلى الله عليه وسلم مثل غزوة بدر، وغزوة أحد، وغزوة حنين وغيرها.²⁵⁹
- وسيحاول هذا البحث دراسة عناصر التي بُنيت عليها قصة يوسف عليه الصلاة والسلام، وذلك من خلال التركيز على أهم الأحداث وأبرز الشخصيات التي كان لها أثرٌ كبير في تبیین دلالة الملك والتمكين، فضلاً عن إبراز جمالية الأسلوب القرآني المتجسدة في الوصف وما تضمنه من صورٍ بيانيةٍ ضمن السياق الذي وردت فيه.

1, 4. المبحث الأول: الوقائع والأحداث والمحن:

يعدُّ الحدث من العناصر المهمة في الفن القصصي عمومًا، والقصّ القرآني خصوصًا، فلا وجود للقصة بلا حدث أو مجموعة من الأحداث التي تقوم بها الشخصيات، ومن هنا تبرز علاقة الحدث بالشخصية.

وتبرز في سورة يوسف أحداثًا كثيرة، مختلفة، متنوّعة، وكلُّ حدثٍ من أحداثها دلٌّ على عبرة، وحكمة، فمنها ما تضمن معنى الصبر، ومنها ما تضمن معنى الإخلاص، ومنها ما عبر عن الغدر، ومنها ما دلّ على العدل، وغير ذلك من معانٍ ودلالات تضمنتها أحداث قصة النبي يوسف عليه الصلاة والسلام، وقد مُهد لهذه الأحداث بقوله تعالى: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا

²⁵⁹ ينظر: عيش متولي بدوي البني: موسوعة تفسير سورة يوسف عليه السلام، (الكويت: الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية، د.ت). ط 61-62.

الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٢٦٠﴾²⁶⁰ ثم بعد ذلك تبدأ قصة النبي يوسف عليه السلام بحدث الرؤيا، إذ يحكي يوسف لأبيه يعقوب عليه السلام رؤيته المتضمنة سجود أحد عشر كوكبًا والشمس والقمر، وذلك بقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾²⁶¹ وتظهر أهمية هذا الحدث الرؤيا من خلال ما يحمله من دلالات، ومعانٍ، ومنها:

1- الإشارة إلى تهيئة الله سبحانه وتعالى النبي يوسف عليه السلام للنبوءة من خلال الرؤيا الصادقة²⁶².

فقد ورد عن عائشة رضي الله عنها " أنها قالت: كَانَ أَوَّلَ مَا بُدِيَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ." ²⁶³

1- تأكيد فضل النبي يوسف عليه الصلاة والسلام من طهارة وصبر²⁶⁴
2- أفاد الحدث الرؤيا دلالة التعظيم الكواكب للنبي يوسف عليه الصلاة والسلام.

وعليه فإن حدث الرؤيا قد أفاد أمرين مهمين، الأمر الأول يتعلق بالجانب الفني، إذ جاء هذا الحدث بوصفه تمهيداً للقصة، ولأحداثٍ لاحقة له، أما الأمر الثاني فمرتبطً بالجانب الفكري المتجسد بما دلَّ عليه الحدث من دلالات، ومعانٍ تعبر عن مكانة النبي يوسف عليه الصلاة والسلام، وعلو شأنه، فضلاً عن الإشارة إلى نبوته. ولا ترتبط أهمية حدث الرؤيا بهذين الأمرين وإنما تتعداهما إلى ما يتضمنه من رمزية وغموض لا ينجليان إلا بعد تتابع أحداث القصة القرآنية ومن ثم

²⁶⁰ يوسف: 3/12

²⁶¹ يوسف: 4/12.

²⁶² الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير = تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد (تونس: دار التونسية للنشر، 1984م)، 208/12.

²⁶³ البخاري، الجامع المسند الصحيح = صحيح البخاري، باب: ما ودعك ربك وما قلى الضحى رقم الحديث: 4953، 173/6. وينظر: مسلم، المسند الصحيح = صحيح مسلم، باب: بدء الوحي إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، رقم الحديث: 252، 139/1.

²⁶⁴ ينظر: ابن عاشور: التحرير والتنوير: 208 / 12.

الوصول إلى نهايتها, فيظهر تأويل حدث الرؤيا, يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبْتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَعَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾²⁶⁵

وفي ذلك ما يدلُّ على براعةٍ فنيةٍ تجلت من خلال تماسك الأحداث وترباطها ضمن السرد القصصي, إذ تتابع الأحداث تتابعًا منطقيًا يقوم على تسلسل الأحداث, وإبراز دوافعها وأسبابها.

وبعد حدث الرؤيا تتلاحق أحداث القصة القرآنية, ويمكن تقسيمها تبعًا لما تضمنته من أفكار, ومعاني إلى ما يأتي:

● كيد الأخوة لأخيهم يوسف عليه الصلاة والسلام, ورميه في الجب:

يتجسد هذا المعنى من خلال مجموعة من الأحداث, تبدأ ببيان الدوافع والأسباب التي جعلت أخوة يوسف يكيدون له, وذلك في قوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالُوا لْيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾²⁶⁶ ففي هذه الآية الكريمة دلالة على ما في نفوس أخوة يوسف من حسدٍ له, بسبب حب أبيهم وتفضيله ليوسف وأخوه بنيامين عليهم, فقد كان يوسف وبنيامين أخوين لأب وأم, "وكان يعقوب قد كلفَ بهما لموت أمهما وزاد في المراعاة لهما, فذلك سبب حسدهم لهما, وكان شديد الحب ليوسف, فكان الحسد له أكثر, ثم رأى الرؤيا فصار الحسد له أشد."²⁶⁷ وينتهي هذا المعنى برجوع الإخوة إلى أبيهم, ونفاقهم في إظهار حزنهم على يوسف, بعد أن رموه في الجب.

● خروج النبي يوسف عليه الصلاة والسلام من الجب, وبيعه كرقيق في

مصر:

²⁶⁵ يوسف: 100/12

²⁶⁶ يوسف: 8/12

²⁶⁷ الماوردي, النكت والعيون = تفسير الماوردي: 9/3.

"﴿ وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ * وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴾" ²⁶⁸

تتجلى أهمية هذا الحدث بما يمثله من منعطفٍ في القصة القرآنية، فهو من ناحية يشكل حلًّا للعقدة القصصية المتمثلة في وجود النبي يوسف في الحب، ومن ناحية يمثل بداية عقدة أخرى متمثلة بما عاشه من محن بعد بيعه في مصر.

• إغراء زوج العزيز ليوسف عليه الصلاة والسلام:

ومنه قوله تعالى: "﴿ وَرَاودَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْت لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾ * وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنَّ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لَنَصْرَفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴾" ²⁶⁹

تتضمن هاتان الآيتان مجموعة من الأحداث إغراء زوج عزيز مصر يوسف عليه السلام، وتشجيعها له بقولها: هيت لك ²⁷⁰، ورده على قولها، ورؤية برهان ربه، وصرفه عن السوء والفحشاء وقد سيقّت هذه الأحداث كلها بإيجاز بليغ، يدل على براعة في التعبير، وبلاغة في الأسلوب بما تضمنه من سردٍ للأحداث، وعرضٍ لخطاب زوج العزيز وردّ يوسف من خلال الحوار القصصي. وفضلاً عن ذلك، فإن الأحداث التي وردت في الآيتين تعدّ تمهيداً وسبباً لحدثٍ آخر تمثل في دخول النبي يوسف السجن، وهذا ما يبيّن ترابط الأحداث، وتسلسل مبني على منطقٍ يقوم على تتابع في السرد القصصي وفق منهج تصاعدي.

• سجن النبي يوسف عليه الصلاة والسلام بعد أن تعرّض لمكيدة من زوج

عزيز مصر.

²⁶⁸ يوسف: 23-24/12

²⁶⁹ يوسف: 20-19/12

²⁷⁰ هيت: يقال إِنَّهَا لَعَنَةُ لِأَهْلِ حَوْرَانَ سَقَطَتْ إِلَى مَكَّةَ فَتَكَلَّمُوا بِهَا. وَأَهْلُ الْمَدِينَةِ يُقَرِّءُونَ هَيْتَ لَكَ بِكُسْرِ الْهَاءِ وَلَا يَهْمَزُونَ وَذَكَرَ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُمَا قَرَأَا هَيْتُ لَكَ يُرَادُ بِهَا: تَهَيَّأْتُ لَكَ. ينظر: الفراء، أبو زكريا الديلمي، معاني القرآن، تح: أحمد يوسف النجاتي ومحمد علي النجار وعبد الفتاح إسماعيل الشلبي، مصر: دار المصرية للتأليف والترجمة، ط1، د.ت، 40/2.

ومنه قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾²⁷¹.

وفي هذا الحدث ما يدل " على أن امرأة العزيز قد عاودت يوسف في المراودة عن نفسه، وتوعدته بالسجن والحبس إن لم يفعل ما دعته إليه، فاختار - صلى الله عليه - السجن على ما دعته إليه من ذلك، لأنها لو لم تكن عاودته وتوعدته بذلك، كان محالاً أن يقول: ﴿ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ﴾ , وهو لا يدعى إلى شيء ولا يخوف بحبس²⁷².

ويتفرع هذا الحدث إلى أحداث أخرى، تجري مع النبي يوسف عليه السلام، منها ما جرى بينه وبين الفتيين في السجن، وسؤالهما عن رؤيتهما، ودعوته لهما إلى عبادة الله سبحانه تعالى، متخذاً أسلوب الحجة والإقناع، وذلك في قوله تعالى ﴿ يَا صَاحِبِي السِّجْنِ أَرَبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾²⁷³.

وتتجلى في هذا الحدث الغاية الدينية المتمثلة في النصيح، والوعظ، والدعوة إلى عبادة الله جلا وعلا، وهذا ما يبين دور القصة القرآنية وأهميتها في تحقيق المتعة والفائدة، إذ تتحقق المتعة من خلال التشويق في سرد الأحداث المتتابعة، أما الفائدة فتبرز من خلال ما تتضمنه القصة القرآنية من عبرة، وحكمة، وموعظة، ولا سيما أن تجربة السجن الذي عاشها النبي يوسف عليه السلام تحيل إلى معاني عدة لعل أبرزها الصبر، إذ كان "السجن ابتلاء جديداً له - تذوق فيه جمال الصبر، واستعذب بين جنباته المصاعب والمتاعب... ووجد في ظلامه نور النفس المؤمنة،

²⁷¹ يوسف: 33/12

²⁷² إبراهيم عناني عطية عناني: البرهان في علوم القرآن للإمام الحوفي - سورة يوسف دراسة وتحقيقاً، علي بن إبراهيم بن سعيد، أبو الحسن الحوفي - رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التفسير وعلوم القرآن، إشراف، السيد سيد أحمد نجم ماليزيا، (جامعة المدينة العالمية - كلية العلوم الإسلامية قسم القرآن الكريم وعلومه، 2015م) 193.

²⁷³ يوسف: 40-39/12.

وفي رقعة الضيقة المحدودة منطلقاً لروحه، بعيداً عن لؤم الناس وغدرهم وخيانتهم ومكرهم²⁷⁴.

واستناداً إلى ذلك، فإن تجربة السجن في القصة القرآنية قد جاءت ضمن سلسلة من الأحداث لتعبر عن الظلم الذي تعرّض له النبي يوسف عليه السلام بعد مراودة زوج العزيز له، ولتبيّن صبره على الشدائد، ولتدل أيضاً على إيمان مطلق بالله سبحانه وتعالى.

• خروج النبي يوسف عليه السلام من السجن، وتوليه خزائن مصر:

ومن الآيات التي تدل على هذا المعنى من خلال سرد الأحداث في القصة القرآنية، قوله تعالى: "(وَقَالَ الْمَلِكُ انْثُونِي بِهِ أَسْتَخْلِسُهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ* قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ* وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُونَ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ)"²⁷⁵

تبيّن هذه الآيات القرآنية ما حدث بين الملك وحاشيته، وطلبه منهم أن يأتوا بيوسف عليه السلام، ما يعني خروجه من السجن، وذلك لكي يجعله الملك خاصاً بنفسه، ولا يشاركه فيه أحد²⁷⁶، وقد دلّ حدث تقريب الملك له على "حكّمته وعلمه، وصبره على تحمل المشاق، وحُسن خلقه ونزاهته، فكل ذلك أوجب اصطفاؤه"²⁷⁷.

وتبرز أهمية هذه الآيات في سياق القصة القرآنية في أمرين اثنين:

الأمر الأول: وهو مرتبطٌ بدلالة التمكين والملك، إذ تتضمن الآيات الكريمة

أحداثاً مهمةً، أولها تمكين يوسف عليه الصلاة والسلام عند الملك، وتجلّى ذلك في

²⁷⁴ محمد الطيب النجار، تاريخ الأنبياء، الرياض: مكتبة المعارف، 1983م، 138.

²⁷⁵ يوسف: 56-55-54/12.

²⁷⁶ ينظر: ابن عاشور: التحرير والتنوير = تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد: 7/13. وينظر: علي بن أحمد ابن محمد بن علي الواحدي، أبو الحسن النيسابوري، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، تح: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، أحمد محمد صيرة، أحمد عبد الغني الجمل، عبد الرحمن (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1994م)، 618/2.

²⁷⁷ ابن عاشور: التحرير والتنوير = تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد:

7/13.

قوله تعالى: "(فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ)"²⁷⁸ إذ إن الهاء في كلمه تعود إلى النبي يوسف عليه الصلاة والسلام، وهذا ما يدل على أن يوسف قد حظي بمكانة رفيعة بعد أن كلم الملك، ما يعني أن "يوسف عليه السلام كلم الملك كلام حكيم أديب، فلما رأى حسن منطقه وبلاغة قوله وأصاله رأيه، رآه أهلاً لثقته وتقريبه منه".²⁷⁹ واستناداً إلى ذلك بلغ يوسف عليه السلام مكانته العظيمة عند الملك، بفضل الله سبحانه وتعالى بعد سلسلة من الأحداث المتضمنة لما تعرّض له من بلاء واختبارات تجسدت في غدر أخوته، ومرادة زوج العزيز له، ومن ثم سجنه، فجاء حدث التمكين مُعبّراً عن حكمة إلهية "لأن المكانة تقتضي العلم والقدرة، إذ بالعلم يتمكن من معرفة الخير والقصد إليه، وبالقدرة يستطيع فعل ما يبدو له من الخير، والأمانة تستدعي الحكم والعدالة، إذ بالحكمة يؤثر الأفعال الصالحة ويترك الشهوات الباطلة، وبالعدالة يوصل الحقوق إلى أهلها"²⁸⁰.

الأمر الثاني: يتعلق بما تتضمنه الآيات الكريمة من أحداثٍ جسدت بداية النهاية السعيدة لقصة يوسف عليه الصلاة والسلام، إذ سيجتمع في أحداثٍ لاحقة مع أخوته وأبيه، وسيلتم شملهم، وسوف تتكشف الرؤيا التي بدأت بها القصة القرآنية عندما أخبر يوسف أباه بسجود الكواكب له، يقول الله تعالى: "(وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ * رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ)"²⁸¹.

²⁷⁸ يوسف، 54/12.

²⁷⁹ ابن عاشور: التحرير والتنوير = تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد:

7/13.

²⁸⁰ المصدر السابق: 8/13.

²⁸¹ يوسف : 100/12-101.

وعلى هذا الأساس, يكون حدث خروج يوسف عليه الصلاة والسلام من السجن, وتمكينه عند الملك, تمهيداً لأحداث سعيدة تأتي في نهاية القصة القرآنية, تبين نعم الله وفضله على يوسف عليه السلام, وتتمثل في خروجه من السجن, ومجيء أخوته إليه بعد أن نزغ الشيطان بينهم وبينه, وفيما أتاه من الملك, وتأويل الأحاديث.

ومما تجدر الإشارة إليه في هذا السياق أمرٌ مرتبطٌ بالبعد الفني في قصة يوسف عليه السلام, وخصوصاً فيما يتعلق بما يسمى بتقنية الاسترجاع المرتبطة بالبنية الزمنية للأحداث في الفن الروائي الحديث, إذ يُعرف الاسترجاع بأنه " كل ذكر لاحق لحدث سابق للنقطة التي نحن فيها من القصة."²⁸² وقد تجسد الاسترجاع في قوله تعالى: "(وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ)" ²⁸³ ففي هذه الآية يسترجع النبي يوسف أحداثاً مرَّ بها, وهي حدث الرؤيا, وخروجه من السجن, ومجيء إخوته إليه, وتتبدى أهمية هذا الاسترجاع للأحداث من خلال أمرين, أولهما مرتبطٌ بإخبار يوسف عليه السلام بتأويل رؤيته التي أخبره بها في بداية القصة القرآنية, أما الأمر الثاني فيعود إلى بيان ما أنعمه الله سبحانه وتعالى عليه من نعم, وذكر فضله سبحانه, وهذا يعني أن استرجاع الأحداث قد أدى في هذه الآية وظيفة فنية في الأسلوب القصصي تجسدت في التذكير بما مضى من أحداث, وهذا من شأنه أن يبرز جمالية القصة القرآنية, وخصوصاً أن الاسترجاع يعيد القارئ إلى بداية القصة, ويذكره بما تخللها من أحداث ماضية.

كلُّ هذه الأحداث وغيرها أدت إلى تمكين يوسف عليه السلام, وما حظي به من ملك من الله سبحانه وتعالى عليه, إذ إن الاختبارات التي واجهها في حياته,

²⁸² جيرار جينيت: خطاب الحكاية بحث في المنهج, تر: محمد معتصم, وعبد الجليل الأزدي, وعمر (الدار البيضاء: المجلس الأعلى للثقافة, ط2, 1997م) 51.

²⁸³ يوسف : 100/12-101.

ومعاناته التي تجسدت في إلقائه في الحب, وفي تجربة السجن, كل ذلك أفضى إلى أن يكون تمكنه وملكه دلالةً على ما اختصه الله به من فضلٍ, وعبرةٍ يجسدها قوله تعالى: "(قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ)"²⁸⁴.

2, 4. المبحث الثاني: الشخصيات:

تعد الشخصية من أبرز العناصر المهمة في السرد القصصي, إذ لا يمكن أن توجد قصة بلا شخصيات, إذ إن كل قصة هي قصة الشخصيات, وهي من "أهم مكونات العمل الحكائي, لأنها تمثل العنصر الحيوي الذي يضطلع بمختلف الأفعال التي تترابط وتتكامل في مجرى الحكى"²⁸⁵.

وترتبط الشخصية بالحدث ارتباطاً وثيقاً, إذ يناط بها مهمة دفع أحداث القصة إلى الأمام, وذلك من خلال ما تقوم به من أفعال. وتختلف أنواع الشخصية تبعاً لاختلاف وظائفها, وغاياتها, ودورها في السرد القصصي, وتبعاً لاختلاف المنهج النقدي, ولعل من أبرز التصنيفات التي تهمننا في هذا البحث هو التصنيف القائم على تقسيم الشخصية إلى نوعين:

²⁸⁴ يوسف: 90/12.

²⁸⁵ سعيد يقطين, *البنيات الحكائية في السيرة الشعبية*, (الدار البيضاء/ المغرب: المركز الثقافي العربي, ط1, 1997م) 87.

1- **الشخصية الرئيسية:** وهي الشخصية التي تكون محور القصة, وتختص بها

معظم أحداث السرد القصصي.

2- **الشخصية الثانوية:** وهي الشخصية التي تؤدي وظيفة مرحلية²⁸⁶, وتسهم في

تطور الأحداث, فضلاً عن دورها في إضفاء الحركة والحيوية على القصة.

وقد غني القرآن الكريم فيما تضمنه من قصصٍ عموماً, وقصة يوسف عليه السلام خصوصاً, بتصوير الشخصيات تصويراً دقيقاً, وقد تجلّى ذلك من خلال ما تقوم به من أفعال, وما تقوله من كلام, ومن خلال ما تتعرض له من أحداث ووقائع, إذ تبيّن لنا الأحداث ما تتمتع به الشخصية في القصة القرآنية من سماتٍ, وصفات, وذلك من خلال تتبع مواقفها مما يجري لها من أحداث, وعرض أقوالها وأفعالها فيما يتعلق بما تتعرض له. ومن المفيد في هذا السياق أن نستعرض ما قاله البيومي فيما يخص تصوير الشخصيات في القصة القرآنية, إذ يقول: " التصوير سمة عامة للبيان القرآني في كل مجالاته التعبيرية وهو في القصة القرآنية على أتم ما يعهد فأنت تعرف الشخصيات القرآنية معرفة متميزة حتى لتفرق بوضوح بين سمات يوسف وموسى وإبراهيم وسليمان, وبلقيس وامرأة العزيز, لا أقول السمات الظاهرية وحدها بل السمات الخافية التي تمرور في مسارب الدم واللحم, وإذا لم يكن ذلك لبراعة التصوير الأدبي للشخصية القرآنية فلا شيء يكون".²⁸⁷

وتنوعت الشخصيات التي ذُكرت في قصة النبي يوسف عليه السلام وتعددت, ولكل واحدة منها دورها المهم في القصة, ولعل من أبرز تلك الشخصيات: **أولاً شخصية النبي يوسف عليه السلام:** إن شخصية يوسف عليه السلام هي الشخصية الرئيسية في القصة القرآنية, ويكفي أن تحمل السورة القرآنية اسمه عليه السلام ليستدلّ على أنها مخصصة للحديث عنه, وعما لاقاه في حياته من اختبارات تبيّن صفات شخصيته الكريمة وسماتها النبيلة وهذا ما جعلها تحظى بالملك

²⁸⁶ حسن بحراوي: *بنية الشكل الروائي*, (الدار البيضاء / المغرب: المركز الثقافي العربي, ط1, 1990م), ص215.

²⁸⁷ محمد رجب البيومي, *البيان القرآني*, القاهرة, د. ت. ط, 204.

والتمكنين, ومما لا شك فإن ما حظيت به شخصية يوسف عليه السلام من مكانة وملك, ودليل ذلك فيما يخص التمكين قوله تعالى: "(وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ" 288).

وقوله تعالى في موضع آخر: "(وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُونَ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ)" 289

ومما يدل على إرادة الله سبحانه وتعالى في ملك يوسف عليه السلام وفضله عليه, قوله جلا وعلا في مناجاة يوسف ربه, وشكره له, وبيان فضله عليه, ودعواته إلى الله: "(رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ)" 290.

وبناء على ذلك, فإن شخصية يوسف عليه السلام هي الشخصية الرئيسة في القصة القرآنية, إذ تدور أحداثها منذ بدايتها وحتى نهايتها حوله, فهي إما أن تقوم بالحدث بشكل مباشر, وإما أن تكون هي الشخصية الفاعلة في أحداث القصة, ومحركة لها, فهي التي أثارت حسد أخوته, وهي التي جعلت الأب يحزن عليه حزناً شديداً بعد أن ألقاه إخوته في الجبِّ, وهي بما تمتعت به من حسن وجمال لا نظير له دفعت زوج العزيز إلى مراودته, ومحاولة إغرائه, وغير ذلك من الأحداث التي تبين تأثيرها وتحريكها للشخصيات الثانوية في القصة القرآنية.

وقد خصَّ الله سبحانه وتعالى يوسف عليه السلام شخصيته بصفات كثيرة تدلُّ على صبره في محنته, وعلى ما تعرض له من اختبارات, وبلاء, وعفته, وإيمانه بربه, وعلمه, وحكمته, وعدله, وأمانته, وإحسانه, وغير ذلك من الصفات التي مكنته بالأرض, وبوآتة الملك, وكلُّ ذلك جاء في سياق قصصي, مُحْكَم البناء,

288 يوسف : 21/12.

289 يوسف : 56/12.

290 يوسف : 101/12.

وبأسلوب بليغ ومُعْجَزٍ تجلّى بما تضمنه من إتقان في الوصف والتصوير، ودقّة في الألفاظ، ومتانة في التراكيب، وإيجازٍ في عرض أحداث القصة، والحوارات، ومواقف الشخصيات، ولاسيما شخصية النبي يوسف عليه السلام.

وكثيرةٌ هي الصفات التي اتسمت بها شخصية النبي يوسف عليه السلام، لذا سوف نكتفي بالحديث عن أبرزها:

1- الحكمة والعلم:

برزت صفتا الحكمة والعلم في شخصية يوسف عليه السلام من خلال قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾²⁹¹ وهاتان الصفتان تدلان على ما امتلكته شخصية يوسف عليه السلام من مقوماتٍ - بفضل الله - جعلته أهلاً لما حظي به من تمكين، وخصوصاً أن هذه الآية تتضمن إخباراً " عن اصطفاء يوسف عليه السلام للنبوّة. ذكر هنا في ذكر مبدأ حلوله مصر لمناسبة ذكر منّة الله عليه بتمكينه في الأرض وتعليمه من تأويل الأحاديث.²⁹² وذلك في قوله تعالى في الآية السابقة: ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾²⁹³

2- الحُسْنُ والجمال:

لم يخصّ السرد القصصي في سورة يوسف عليه السلام شخصية النبي بذكر الصفات الخلقية التي مكنته في الأرض، وجعلته ملكاً على مصر فحسب، وإنما عمد إلى تصوير جماله وحسنه، وتتجلى جمالية التصوير وبلاغة الأسلوب القصصي في أن وصف شخصية يوسف فيما يخص جماله وحسنه لم يأتِ وصفاً تقريرياً، مباشراً كما هو الحال في الفن القصصي أو الروائي، وإنما جاء هذا الوصف مستنداً إلى

²⁹¹ يوسف : 22/12.

²⁹² ابن عاشور: التحرير والتنوير = تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد: 8/13.

²⁹³ يوسف : 21/12.

الإيحاء المتمثل بالحدث المتعلق بمراودة زوج العزيز له في قوله تعالى: " (وَرَاودَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ * وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ) " 294 .

ففي قوله تعالى ما يؤكد حسن يوسف عليه السلام وجماله, ولولا لم تتسم شخصيته بما وهبها الله سبحانه من جمال وحسن ما كانت زوج العزيز تسعى إلى مراودته.

كذلك تبرز بلاغة تصوير شخصية يوسف عليه السلام في القصة القرآنية في السياق القرآني من خلال ما جرى بين زوج العزيز والنسوة اللواتي لَمَّناها على محاولتها إغرائه, وذلك في قوله تعالى: " (فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ * قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاودَتْهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا أَمَرَهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِنَ الصَّاغِرِينَ) " 295

أي أسلوب في التصوير الشخصية أبلغ من هذا الأسلوب الموحى والمعبر عن حسنه عليه السلام وجماله من غير أن تتضمن الآية الكريمة مفردة أو تركيباً يدل على جماله الذي بلغ حدًا عظيمًا جعل النسوة يقطعن أيديهن وهنَّ لا يشعرون؟!

3- العفة والإيمان:

كما صوّر الله سبحانه وتعالى جمال يوسف عليه السلام تصويرًا إيحائيًا من خلال الحدث القصصي, كذلك صوّر ما تمتعت به شخصيته عليه السلام من عفة

294 يوسف : 23/12 - 24.

295 يوسف : 31/12 - 32.

وإيمان، إذ يقول الله سبحانه مبيناً عفته: "(قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ)"²⁹⁶

أما صفة الإيمان فقد تجسدت في شخصية يوسف عليه السلام من خلال دعوته من معه في السجن إلى عبادة الله الذي لا شريك له، مستنداً إلى ما أوتي من حكمة وعلم ومنطق "(قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكَمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ * يَا صَاحِبِي السِّجْنِ أَرَبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ * مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءَ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ)"²⁹⁷

إن المتتبع لهذه الآيات الكريمة لا يجد وصفاً مباشراً لإيمان يوسف عليه السلام، أي: لم يقل كان يوسف مؤمناً دعا من معه في السجن إلى عبادة الله الواحد، وإنما تجلّى إيمانه عليه السلام من خلال ذكر أقواله في الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى

4-الصدق:

عُرف النبي يوسف عليه السلام بالصدق، وقد وردت هذه الصفة في قوله تعالى: "(يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ)"²⁹⁸ ويلاحظ في هذه الآية الكريمة أن وصف النبي يوسف عليه السلام بالصدق لم يرد في القصة القرآنية بشكل مباشر، أي إنه جاء في سياق الحدث المتمثل في

²⁹⁶ يوسف : 33/12 .

²⁹⁷ يوسف : 33/12 .

²⁹⁸ يوسف : 37/12 – 38 – 39-40 .

طلب استفتائه في رؤيا الملك, وكذلك فإن هذه الوصف قد أُطلق من قبل شخصية الساقى, وهنا يبرز البعد الفني لاستخدام صفة الصدق المتمثل في جمالية تصوير شخصية يوسف عليه السلام, ففي استخدام صفة الصديق ما يشير إلى " استعمال اللقب الجامع لمعاني الكمال واستقامة السلوك في طاعة الله تعالى, لأن تلك المعاني لا تجتمع إلا لمن قوي صدقه في الوفاء بعهد الدين " ²⁹⁹.

ومما يؤكد جمالية هذا الوصف ضمن سياقه القصصي أنه صفة لا يطلقها المرء على شخص ما إلا إذا كان قد خبره, وخاض تجربة مع من وصفه بالصدق, وهذا ما أكدّه ابن عاشور في تفسيره, إذ يقول: " فهذا الذي استفتى يوسف عليه السلام في رؤيا الملك وصف في كلام يوسف عليه السلام, بمعنى يدل عليه وصف الصديق في اللسان العربي, وإنما وصفه به عن خبرة وتجربة اكتسبها من مخالطة يوسف عليه السلام في السجن " ³⁰⁰.

وبناء عليه, فإن استعمال صفة الصدق في هذا السياق القصصي يدل على براعة في التصوير, وبلاغة في التعبير, إذ إنّ هذه الصفة وردت في سياقٍ يلائم مجرى الأحداث, وتقضي إلى معانٍ تدلّ على عظمة الشخصية, واستقامتها.

ومن الآيات التي تبين صدق يوسف عليه السلام, نذكر قوله تعالى: " ﴿ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاودْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصّٰدِقِیْنَ ﴾ " ³⁰¹ تلکم كانت أبرز الصفات التي تجسدت في شخصية يوسف عليه السلام في سياق أحداث القصة القرآنية, وهي صفاتٌ خصه الله سبحانه وتعالى به, ليكون في الأرض مكيّنًا, وهذا ما تجلّى في قوله تعالى: " ﴿ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ

²⁹⁹ ابن عاشور: التحرير والتنوير = تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد:

284/12.

³⁰⁰ المصدر السابق: 285/12.

³⁰¹ يوسف : 51/12.

وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠٢﴾

تبيّن لنا هذه الآية الكريمة كيف أن الله سبحانه وتعالى قد هيا الأسباب الموضوعية والذاتية في تمكين يوسف عليه السلام، تتمثل الأسباب الموضوعية في الأحداث التي جرت مع النبي يوسف عليه السلام، من حسد إخوته له، ثم إلقائه في الجب، وبعد ذلك بيعه في مصر، كلُّ هذه الأحداث هيأت ليوسف ليتمكن في الأرض، وهذا ما يؤكده ابن عاشور بقوله في تفسير هذه الآية: " والتمكين في الأرض هما مرادُّ به ابتدأؤه وتقدير أول أجزائه، فيوسف عليه السلام بحلوله محل العناية من عزيز مصر قد خطَّ له مستقبل تمكينه من الأرض بالوجه الأتم الذي أشير له بقوله تعالى بعد: ﴿ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ ﴾" ³⁰³، فما ذكر هنالك هو كردِّ العجز على الصدر مما هنا، وهو تمامه، وعطف على وكذلك علة لمعنى استفاد من الكلام وهو الإيتاء، تلك العلة هي ولنعلّمه من تأويل الأحاديث لأن الله لما قدّر في سابق علمه أن يجعل يوسف عليه السلام عالماً بتأويل الرؤيا، وأن يجعله نبياً أنجاه من الهلاك، ومكّن له في الأرض تهيئة لأسباب مراد الله تعالى " ³⁰⁴

أما الأسباب الذاتية فتتجسد فيما تمتعت به شخصية النبي يوسف من علم، وحكمة، وعفة، وإيمان، وإخلاص، وعدل، وصدق، إذ إن شخصية تتسم بهذه السمات جديرة بأن تتمكن في الأرض، وجديرة بأن يستخلصه الملك لنفسه، ويجعله مكيّناً عنده، ويوكل له خزائن مصر، يقول تعالى: ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ انْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ * قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾ ³⁰⁵

³⁰² يوسف : 21 / 12.

³⁰³ يوسف : 56 / 12.

³⁰⁴ ابن عاشور: التحرير والتنوير = تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد:

247/12

³⁰⁵ يوسف : 55-54 / 12.

بيد أن الآيات الدالة على الملك والتمكين في سورة يوسف لم تتبدى فقط من خلال الشخصية الرئيسة في القصة القرآنية، وإنما أسهمت الشخصيات الثانوية في إبراز هذه الدلالة، إذ أثرت الشخصية الثانوية كثيرًا في الحدث القصصي، وفي تجسيد العبرة، وفي الدلالة على ما تمتعت به الشخصية الرئيسة من صفات، وسنكتفي لتأكيد ذلك بالإشارة إلى أبرز أفعال الشخصيات الثانوية وتصرفاتها التي أسهمت في تمكين يوسف.

تأثير إخوة يوسف:

تجلى هذا التأثير من خلال طبع الحسد الذي تجلى في شخصيات إخوة يوسف، ما دفعهم إلى التآمر على قتله.

زوج العزيز:

أثر ما فعلته زوج العزيز من مراودة للنبي يوسف عليه السلام، ومن ثم افترائها عليه إلى دخوله السجن، فيخبر صاحبيه في السجن بتأويل رؤيتهما التي كانت سببًا في خروجه، ومن ثم تمكينه لدى الملك.

شخصية الساقى:

وهي الشخصية التي ذكرت يوسف عليه السلام عند الملك عندما طلب تفسير رؤيته، وبذلك يتبين دورها المهم في مستقبل يوسف عليه السلام في التمكين والملك، إذ إنها أسهمت بما فعلته — عندما ذكرت يوسف عليه السلام — في مصير الشخصية الرئيسة الذي تجسد بداية في خروجه من السجن ومن ثم تولي شؤون مصر.

الملك وتمكينه ليوسف عليه السلام:

وهذا ما تجسد في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ انْثُونِي بِهِ اَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ* قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾³⁰⁶

³⁰⁶ يوسف : 54-55.

واستناداً إلى ما تقدم يمكن القول: إن السرد القصصي في السورة القرآنية بما تضمنه من أحداث وشخصيات جاء محكماً غاية الإحكام، ومبنيًا بناء يدلُّ على بلاغة النظم القرآني وإعجازه، وقد تجلّى ذلك في تسلسل الأحداث تسلسلاً منطقيًا، وفي تصرفات الشخصيات وأفعالها وأقوالها، وتأثير الشخصيات فيما بينها، كل ذلك أدى إلى إبراز ما تضمنته السورة القرآنية من معانٍ ودلالات ولاسيما فيما يخصُّ دلالاتي الملك والتمكين.

3.3. المبحث الثالث: الصورة والتركيب:

مما لا شك فيه أن القرآن الكريم معجزٌ في لغته، وتركيبه، وصوره، وتحدي به العرب أن يأتوا بمثل بيانه، ولا تخلو آية من آيات سورة يوسف من بلاغة وفصاحة، ومتانة في التراكيب، وتناسب في الألفاظ، وكثيرة هي الصور البيانية والبديعية التي أضفت على السرد القصصي للصورة بعدًا جماليًا، لذا سنكتفي بتحليل بعض الآيات التي تبرز جمالية الأسلوب، وتبيّن بلاغته. ففي قوله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْغَافِلِينَ﴾* إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴿307﴾ يبرز ما يسمى حسن التخلّص وهو " فن مشهور ذائع في كلام البلغاء، وهو امتزاج ما يقدمه الكاتب أو للشاعر من البسط بأول ما استهل به كلامه كالبيت الأول من القصيدة والفقرة الأولى من المقالة على أن يختلس ذلك اختلاسا رشيقا دقيق المعنى بحيث لا يشعر السامع بالانتقال من المعنى الأول إلا وقد وقع في الثاني لشدة الممازجة والالتئام كأنهما أفرغا في قالب واحد، أو يوطيء الكاتب فيه بفصل لفصل يريد أن يأتي به بعده وإما بنكتة تشير الى معنى الفصل المستقبل كقوله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾* 308 فإنه سبحانه وطأ بهذا الفصل الى ما يأتي بعده من سرد قصة يوسف عليه السلام فتخلّص به الى ذكر

307 يوسف : 4-3/12.

308 يوسف، 3/12.

القصة تخلصاً بارعاً، فإن النكتة التي أشارت الى وصف هذه القصة بنهاية الحسن دون سائر قصص الأنبياء المذكورة في القرآن؛ وهي قوله: «أحسن القصص» فإن المخاطب إذا قرع سمعه هذا الوصف للقصة تنبّه الى تأملها، فيجد كل قضية فيها ختمت بخير، وكل ضيق انتهى الى سعة، وكل شدة آلت الى رخاء، وذلك أمر عجيب يستحيل أن يأتي على القصة الحديثة «العقدة» تختم بالخير أو ما يسمّى في عرف القصة الحديثة بالحل»³⁰⁹.

وفي قوله سبحانه: "﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾"³¹⁰ نجد أن حرف النداء يا قد أفاد دلالة الاهتمام بالخبر، وخصوصاً أن المنادى وهو يعقوب عليه السلام حاضر "مقصود به الاهتمام بالخبر الذي سيلقى إلى المخاطب، فينزل المخاطب منزلة الغائب المطلوب حضوره، وهو كناية عن الاهتمام أو استعارة له"³¹¹.

وكذلك تضمنت الآية الكريمة استعارة، وذلك في قوله ساجدين إذ استعير معنى السجود للإنسان وجعله للكواكب، مُنزلاً إياها منزلة العقلاء، وقد تجلت جمالية الاستعارة فيما أفادته من تعظيم للنبي يوسف عليه السلام.

وفي قوله سبحانه وتعالى: "﴿وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ﴾"³¹² نجد أن فعل البكاء جاء بصيغة المضارع مقترناً بوقت العشاء، وقد ذهب المفسرون إلى أن تحديد الزمن في هذا الآية جاء لغاية بلاغية تتمثل في الدلالة على النفاق؛ إذ إن أخوة يوسف قد اختاروا وقت العشاء ليخبروا أباهم بأن يوسف عليه الصلاة والسلام قد أكله الذئب لكي يخفوا علامات نفاقهم، وكذبهم، "وليكونوا أجراً في الظلمة على الاعتذار وترويح ما مكروا، وقد قيل: لا تطلب الحاجة بالليل وإن الحياء في العينين،

³⁰⁹ مصطفى درويش، إعراب القرآن وبيانه، (حمص/ سورية: دار الإرشاد للشؤون الجامعية، دمشق/ بيروت: دار ابن كثير، ط4، 1994م)، 452-451/4.

³¹⁰ يوسف : 12 / 3-4.

³¹¹ ابن عاشور: التحرير والتنوير = تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد: 207/12.

³¹² يوسف : 16 / 12.

ولا يعتذر من ذنب في النهار فيتلجلج في الاعتذار فلا يقدر على إتمامه.... ليدلّسوا على أبيهم.³¹³

جاء الحزن في سياق وصف حال يعقوب عليه السلام، في قوله تعالى: "﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾"³¹⁴ ففي هذه الآية وصف لما وصل إليه حال يعقوب عليه السلام من شدة الحزن على يوسف عليه الصلاة والسلام، وقد تجلّى عمق الحزن بما تضمنه السياق من مفردات، وتراكيب تؤكد عمقه وشدته، مثل أسفى والأسف هو أشد الحزن والحسرة³¹⁵، وهو اجتماع " الغضب والحزن معاً، وقد يطلق على كلّ منهما بانفراده. وحقيقته ثوران دم القلب شهوة الانتقام. فمتى كان على من تحته انتشر فصار غضباً، وعلى من فوقه انقبض فصار حزناً"³¹⁶. وكذلك قوله: "﴿وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ﴾" أي صارتا في حال البياض لكثرة البكاء على يوسف عليه الصلاة والسلام، فإن العبرة إذا كثرت محقت سواد العين، وقلبتة الى بياض، وكذا حال يعقوب عليه السلام بكى حتى صار أعمى³¹⁷، فالتركيب يبيّن عمق الحزن وشدته. ومن المفردات التي أسهمت في التعبير عن شدة الحزن كظيم أي محزون³¹⁸، مغموم، مكروب، يتردد الحزن في جوفه³¹⁹، المُمسِك على حزنه، ممتلئ به³²⁰، وقد أفادت صيغة فعيل في كلمة كظيم بيان شدة الحزن، لدلالاتها على المبالغة والإكثار في الفعل، وذهب بعض المفسرين إلى أن كظيم جاءت للدلالة على أن يعقوب عليه السلام " مملوء

³¹³ الثعلبي، أبو إسحاق: الكشف والبيان عن تفسير القرآن: تح: الإمام أبي محمد بن عاشور، (بيروت/لبنان: دار إحياء التراث العربي، ط1، 2002م)، 202/5.

³¹⁴ يوسف: 84/12.

³¹⁵ الخلوّتي، أبو الفداء الإستانبولي الحنفي، روح البيان، (بيروت: دار الفكر، د.ت.ط)، 306/4. وينظر: ابن عاشور: التحرير والتنوير: 42/13.

³¹⁶ السمين الحلبي، عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ: تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية: بيروت، ط1، 1996م، 90/1. وينظر: الماتريدي، تأويلات أهل السنة = تفسير الماتريدي: 44/5.

³¹⁷ الخلوّتي: روح البيان: 306/4.

³¹⁸ الزجاج، معاني القرآن وإعرابه: 125/3. وينظر: ابن عاشور: التحرير والتنوير: 43/13.

³¹⁹ نصر بن محمد السمرقندي، أبو الليث، بحر العلوم (د. م. ط، د. ت) 206/2.

³²⁰ السمرقندي: بحر العلوم: 206/2.

غيظاً على أولاده، ممسك له في قلبه.³²¹ وإن كان ذلك كذلك، فإن مجيء كظيم بمعنى الغيظ يفيد الدلالة عما وصل إليه حال يعقوب من الأسى والحزن.

وتتجلى براعة وصف حزن يعقوب عليه السلام بما يتضمنه السياق القرآني للآية الكريمة من دلالاتٍ متنوعة تفرعت إلى دلالة حركية جسدها الفعل تولى الذي أفاد دلالة الإعراض عن أبنائه، ودلالة قولية متمثلة بقول يعقوب عليه السلام: يا أسفي على يوسف الذي عبّر عن عمق حزنه، ودلالة جسدية برزت في ذكر ما أصاب العين من بياض في قوله تعالى: وابيضت عيناه من الحزن إذ أفاد حرف الجر من في تحديد سبب البياض، وهو الحزن.

أما مجيء الحزن في سياق الشكوى فتجلى في قوله سبحانه وتعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾³²². ترتبط هذه الآية الكريمة بالآية التي سبقتها، فبعد أن وصف الله سبحانه ما وصل إليه حال يعقوب عليه السلام من شدة الحزن أبلغ وصفٍ، ذكر ما قاله أبنائه له، معاتبين إياه في مزاولته ذكر يوسف عليه الصلاة والسلام، في قوله: ﴿قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾³²³ فأجابهم يعقوب عليه السلام بعد أن رأى " فظاظتهم، وسوء لفظهم، ولا أشكو ذلك إليكم"³²⁴ وهذا ما تجسد في قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾³²⁵ والبتُّ " نشر الغم الذي انطوت عليه النفس، ومعناه: غمي الذي أبته عن كتمانِي."³²⁶ ومنهم من ذهب إلى أن البتُّ هو " أشد الحزن، إنما سمي الحزن البتُّ، لأن صاحبه لا يصبر عليه، حتى يبته أي: يفشوه."³²⁷ وعليه، فإن مجيء الحزن في

³²¹ ابن عجيبة الأنجري الحسني، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، تح: أحمد عبد الله القرشي رسلان، (بيروت: دار الكتب العلمية، 2002م) 620/2.

³²² يوسف: 86/12.

³²³ يوسف: 85/12.

³²⁴ السمرقندي، بحر العلوم: 207/2.

³²⁵ يوسف: 86/12.

³²⁶ السمين الحلبي، عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، 158/1-159.

³²⁷ السمرقندي، بحر العلوم: 207/2.

سورة يوسف بصيغته المختلفة الحزن – حزني , فضلاً عما وردَ من مفردات ونظائر لغوية تحمل معناه مثل أسفي – كظيم – بثي وتراكيب تعبّر عن شدة الحزن كقوله: ﴿وَأَبْيَضْتُ عَيْنَاهُ﴾³²⁸ يفيد أمرين اثنين:

الأول: البلاغة في تصوير حال يعقوب عليه الصلاة والسلام, ووصف ما وصل إليه من شدة في الحزن.

الثاني: اللجوء إلى الله سبحانه وتعالى في الشكوى من الحزن.

وتتجسد جمالية الصور البيانية في السياق القصصي المرتبط بالحديث عن رؤيا الملك, وذلك في قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَضْغَاتُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالَمِينَ﴾³²⁸ إذ أفاد قولهم: أضغات أحلام معنى المبالغة في وصف الحلم بالبطلان.

وكذلك برز التشبيه المركب في قوله تعالى: ﴿وَرَفَعَ أَبْوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ﴾³²⁹ ومن " بداعة هذا التشبيه أن كان كل جزء من اجزاء الهيئة المشبهة مماثلاً لجزء من أجزاء الهيئة المشبه بها، وذلك أكمل التمثيل في البلاغة العربية "³³⁰ لأن التمثيل بوساطة التشبيه المركب في هذه الآية قُصدَ به تقريب " شأنٍ من شؤون عظمة ملك الله بحال هيئة من الهيئات المتعارفة، ناسب أن يشتمل على ما هو شعار أعظم المدبرين للأمور المتعارفة للملوك، وذلك شعار الغرض الذي من حوله تصدر تصرفات الملك، فإنّ تدبير الله لمخلوقاته بأمر التكوين يكون صدوره بواسطة الملائكة "³³¹ وتجلّى التكرار في السياق القصصي بوصفه ظاهرة بلاغية أفادت تأكيد العبرة وما تضمنه السرد القصصي من حكمة وموعظة, إذ كرر الله سبحانه دلالة التمكين مرتين في السياق القصصي, وذلك في قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ

³²⁸ يوسف: 44/12.

³²⁹ يوسف: 100/12.

³³⁰ ابن عاشور: التحرير والتنوير = تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد:

207/12.

³³¹ المصدر نفسه.

النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٣٢﴾ وقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾³³³ ليدلَّ بذلك على أن التمكين الذي حظي به يوسف عليه السلام من العبر المهمة التي تضمنتها السورة القرآنية. وكذلك برزت في سورة يوسف عليه السلام صورًا كثيرة، وتراكيب بليغة أسهمت إسهامًا كبيرًا في إبراز جمالية السرد القصصي في السورة، واستعرضنا بعضها لكي نبيِّن دورها فيما أضفته من جمالية على القصة القرآنية. واستنادًا إلى ما سبق يمكن القول: تضافرت الأحداث والشخصيات، والصور البيانية في تجسيد جمالية القصة القرآنية، وبلاغتها، ولا سيما أنها تضمنت التشويق، والمتعة، والحكمة، والعبرة، وغير ذلك.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبمعونته تُدرك الغايات، وقد بَلَغَتْ رحلةُ البحث مداها، في رحاب القرآن العظيم، وقصة سيدنا يوسف عليها السلام، ولعل أبرز النتائج التي نقف عليها في خاتمة هذا البحث هي:

1 - الملكُ منصبٌ شريف ذو خطر عظيم، ومعناه التصرف في الأعيان الحسية والمنافع الشرعية متى يشاء صاحبها، وكيف شاء، وأن للتمكُّن درجة أعلى وأخطر من الملك، لأن معنى الثاني يشتمل على الأول، كما يشتمل على معنى الظفر والنصر، والقرار والثبات، وهنا يكمن الفرق بين الملك والتمكين فهما ليسا بمعنى واحد، ولا على درجة واحدة.

³³² يوسف: 21/12.

³³³ يوسف: 56/12.

2 - إن سُنَّة التمكين لا تأتي دفعة واحدة، وإنما يرتقي صاحبها من حال إلى حال، ويتنقل من وصف إلى وصف كما حدث لسيدنا يوسف عليه السلام، وهنا ينبغي التنبيه على أهمية سُنَّة التدرج في تغيير الشعوب وبناء الدول.

3 - الملوك وقانون التمكين يختل بالتurf والدعة والانفراد والاستبداد، وأن النظر الصحيح في سنن الله تعالى في الأنفس والمجتمعات، وفي أسباب سقوط الدول وعوامل تطورها وازدهارها، يكمن في مخالفة هذه السنن وتلك القوانين، وأن القرآن الكريم فيه كل عوامل التمكين، والمنهج الكامل الذي إذا سارت عليه الأمة وصلت إلى عزتها وكرامتها ورفعتها وظهورها؛ وهو حال لن تعدمه الأمة عند فريق أو جماعة في شرق الأرض أو غربها؛ بحال من الأحوال، مهما كانت الظروف كما بيَّنا.

4 - سورة يوسف تتصف بالوحدة الموضوعية؛ لاشتغالها على موضوع واحد غالبٍ عليها وهو قصة النبي الكريم يوسف عليه السلام، كما تحتوي على مواضيع أخرى جانبية كما قال العلماء والمفسرون من ذكر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والصالحين، والملائكة، والجن، والشياطين، والإنس، والطير، وسير الملوك، والمماليك، والتجار، والعلماء، والجهال، والرجال، والنساء وحيلهن ومكرهن، وذكر التوحيد، والفقه، والسير، وتعبير الرؤيا، والسياسة، والمعاشرة، وتدبير المعاش، وجمل الفوائد تصلح للدين والدنيا.

5 - الأحداث التي مرَّ بها سيدنا يوسف عليه السلام ، تمثل سنة التمكين التي تكلم عنها العلماء؛ وهي سُنَّة لا تتبدل ولا تتغير؛ يكتب الله فيها النصر والظفر لأنبيائه وعباده المؤمنين، مما يدل على أن دعوة الأنبياء واحدة على مدى الأزمان والعصور، وأن التمكُن يمكن أن يكون فردياً كما حصل لسيدنا يوسف، أو جماعياً كما يحصل لأمة من الأمم أو دولة من الدول باتخاذ أسباب التمكين وشروطه.

6 - قِصَّة سيدنا يوسف عليه السلام ليست مجرد قصةٍ تثير فينا الخيال والمتعة، ولكن لها أبعاد فكرية ورمزية، يتعلَّم منها المؤمنون دروساً؛ أن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده، بجليل صبرهم وعظيم إيمانهم، وهذه الصفات والمعاني هي أولى أسباب التمكين.

7 - للتمكين سبعُ مراتب: أولى هذه المراتب السلامة من الخسران، ثم التأييد، ثم الظهور، ثم النصر، ثم الغلبة، ثم الملك أو الولاية، وأعلاها وأتمها الخلافة، وقد تنقَّل يوسف عليه السلام من مرتبة إلى مرتبة فنجا من الحبِّ ومن السجن، ثم أيَّده الله فاحتال على إخوته حتى وقفوا موقف الذلة والندامة، ثم كتب له ظهور دعوته في مصر بحُسن أخلاقه وكفاءته في إدارة الأزمة الاقتصادية آنذاك، وانفرد بالملك بعد توليه مخازن الغلال في مصر، ولما مَلَكَ كان نبياً فوصل إلى درجة الخلافة كما قال تعالى: "(يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض)"، ولا يمكن أن نفصل النتائج عن الأسباب، وتلك الأسباب تبدو لنا من خلال تحليل وتفسير الأحداث التي وقعت لسيدنا يوسف عليه السلام والتي ذكرناها مفصلاً .

8 - الثمرات التي حصلت لسيدنا يوسف عليه السلام يجب استغلالها في تعلم التربية الربانية للأنبياء والقادة، في علمهم وجهادهم وتقواهم، كي يقودوا الأمة نحو العزة والمجد والكرامة.

9 - الرؤية الفنية في القِصَّة عموماً وفي الآيات الكريمة خصوصاً لم تنفلت من عقل الواقعية في رسم النموذج الإنساني لسيدنا يوسف عليه السلام، وإن ساهمت في إغناء الحركة والحوار وكثَّفت الرمز، فالقميص في الحقيقة هو اللباس الذي غطَّى جسد سيدنا يوسف، وخَرَقه الذئب، وقدَّته امرأة العزيز، ولكن في المجاز أيضاً هو قميص البشارة والشهادة والعلامة، فقميص العلامة دليل حسد الإخوة، وقميص الشهادة بريء فيه من الدعوة، وقميص البشارة جمع بينه وبين من يهوى.

10 - الاهتمام بغرس العقيدة الصحيحة كما فعل سيدنا يوسف مع صاحبيه في السجن عندما أرشدهما إلى أنَّ فنَّ تأويل الرؤيا ليس ضرباً من التنجيم أو العبث، وأنه بصيرة من الله يمنحها لكل مؤمن موحد، وحتى نفهم فقه التمكين بشكل صحيح يجب الحرص على الأخذ بالأسباب المادية والمعنوية، لكي يكتب الله لنا النصر والغلبة على الأعداء.

وبعد: هذه أبرز النتائج؛ أسأل الله أن يجعل حفظنا ونصييها من العمل بما عملنا الحظ الجليل الكبير، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع

أولاً - قائمة المصادر

- القرآن الكريم.
- التميمي، ابن أبي حاتم عبد الرحمن بن محمد بن إدريس ت 327هـ ، تفسير القرآن العظيم: تح: أسعد محمد الطيب، السعودية/مكتبة نزار مصطفى الباز، ط3 - 1419هـ .
- ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي أبو الفرج ت 597هـ ، التبصرة: بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1986م .
- ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي أبو الفرج ت 597هـ ، زاد المسير في علم التفسير: تح: عبد الرزاق المهدي، بيروت، دار الكتاب العربي، ط1 - 1422هـ .
- ابن الهمام، كمال الدين محمد بن عبد الواحد السيواسي المعروف بابن الهمام ت: 861هـ ، فتح القدير للعاجز الفقير، بيروت، دار الفكر، د.ت.ط .
- ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل ت 458هـ ، المحكم والمحيط الأعظم: تح: عبد الحميد هندائي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1 - 2000م .
- ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر التونسي ت : 1393هـ : التحرير والتنوير = تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد: تونس، الدار التونسية للنشر، 1984هـ .
- ابن عجيبة، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني ت 1224هـ : البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، تح: أحمد عبد الله القرشي رسلان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 2002م .
- ابن عطية الأندلسي، عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن ت 542هـ ، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: تح: عبد السلام عبد الشافي بيروت، دار الكتب العلمية، ط1 - 1422هـ .

- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ت: 751هـ ،
بدائع الفوائد، بيروت، دار الكتاب العربي .
- ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي ت 774هـ ، البداية والنهاية:
تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مصر/السعودية، دار هجر، ط1 - 1997م .
- ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي ت:
774هـ ، تفسير القرآن العظيم: تح: سامي بن محمد سلامة السعودية، دار طيبة
للنشر والتوزيع، ط2، 1420هـ - 1999 م .
- ابن منظور الإفريقي، محمد بن مكرم أبو الفضل، لسان العرب: بيروت، دار
صادر، ط3 - 1414هـ .
- ابن نجيم ، زين الدين بن إبراهيم بن محمد، المعروف بابن نجيم المصري ت:
970هـ ، الأشباه والنظائر على مذهب أبي حنيفة النعمان، تح: زكريا عميرات
بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1419هـ - 1999 م .
- أبو زهرة، محمد بن أحمد بن مصطفى ت 1394هـ ، المعجزة الكبرى القرآن:
بيروت، دار الفكر العربي .
- القيرواني، يحيى بن سلام ت 200هـ ، التصاريف لتفسير القرآن مما اشتمت
أسمائه وتصرفت معانيه: قدمت له وحققته: هند شلبي تونس، الشركة التونسية
للنشر والتوزيع، 1979م
- الأوسي، سراج الدين عمر بن إبراهيم بن عمر الأنصاري ت 751هـ ، زهر
الكام في قصة يوسف عليه السلام: تح: كمال الدين علام، بيروت، دار الكتب
العلمية - ط1 - 2003م .
- بحراوي، حسن: بنية الشكل الروائي، الدار البيضاء / المغرب، المركز
الثقافي العربي، ط1، 1990م

• البخاري، محمد بن إسماعيل الجعفي ت 256 هـ ، الجامع المسند الصحيح
=صحيح البخاري: تح: محمد زهير بن ناصر الناصر، ترتيب: محمد فؤاد عبد
الباقي، دار طوق النجاة، ط 1 - 1422 هـ .

• البغوي، محي السنة الحسين بن مسعود بن محمد ت 510 هـ ، معالم التنزيل في
تفسير القرآن =تفسير البغوي: تح: عبد الرزاق المهدي، بيروت، دار إحياء
التراث العربي، ط 1 - 1420 هـ .

• البيومي، محمد رجب: البيان القرآني، القاهرة، د. ت. ط .

ثالثاً - المراجع الأجنبية:

ثانياً - المراجع العربية:

• الثعلبي، أحمد بن محمد بن إبراهيم ، أبو إسحاق ت: 427 هـ : الكشف والبيان
عن تفسير القرآن: تح: الإمام أبي محمد بن عاشور، بيروت/لبنان، دار إحياء
التراث العربي، ط 1، 1422 هـ - 2002 م .

• الجرجاني، علي بن محمد، ت 816 هـ ، التعريفات بيروت، دار الكتب العلمية ،
ط 1، 1403 هـ - 1983 م .

• الجصاص، أحمد بن علي أبو بكر ت 370 هـ ، أحكام القرآن: تح: عبد السلام
محمد شاهين، بيروت، دار الكتب العلمية، ط 1 - 1994 م .

• الجوهرى، أبو نصر إسماعيل بن حماد ت: 393 هـ ، الصحاح تاج اللغة
وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور عطار - بيروت، دار العلم للملايين -
ط 4، 1407 هـ - 1987 م .

• جبرار جينيت: خطاب الحكاية بحث في المنهج، تر: محمد معتصم، وعبد
الجليل الأزدي، وعمر حلي الدار البيضاء، المجلس الأعلى للثقافة، ط 2، 1997 م .

• الحنبلي، عمر بن علي بن عادل أبو حفص ت 775هـ ، الباب في علوم الكتاب: تح: عادل عبد الموجود و علي محمد معوض، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1 - 1998م .

• الحوفي، علي بن إبراهيم بن سعيد، أبو الحسن ت: 430 هـ , البرهان في علوم القرآن - سورة يوسف دراسة وتحقيقاً، تقديم: إبراهيم عناني عطية عناني: رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التفسير وعلوم القرآن، إشراف، السيد سيد أحمد نجم ماليزيا، جامعة المدينة العالمية - كلية العلوم الإسلامية قسم القرآن الكريم وعلومه، 1436 هـ - 2015 م .

• الخازن، علاء الدين علي بن محمد ت 741هـ ، لباب التأويل في معاني التنزيل = تفسير الخازن: تصحيح: محمد علي شاهين، بيروت، دار الكتب العلمية - ط1 - 1415هـ .

• الخلوتي، أبو الفداء، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي، ت 1127هـ: روح البيان، بيروت، دار الفكر .

• درويش، محيي الدين بن أحمد مصطفى ت : 1403هـ : إعراب القرآن وبيانه، حمص/ سورية، دار الإرشاد للشئون الجامعية، دمشق - بيروت، دمشق - بيروت، دار ابن كثير، ط4، 1415هـ

• الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر ت 666هـ ، أنموذج جليل في أسئلة وأجوبة عن غرائب آي التنزيل: تح عبد الرحمن بن إبراهيم المطرودي، الرياض/السعودية، دار عالم الكتب، ط1 - 1991م .

• الرازي، محمد بن عمر بن الحسن فخر الدين ت 606هـ ، مفاتيح الغيب =/التفسير الكبير: بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط3 - 1420هـ .

• الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد ت: 502هـ , المفردات في غريب القرآن، تح: صفوان عدنان الداودي , دمشق دار القلم، الدار الشامية - ط1 1412هـ .

- الراغب، عبد السلام أحمد ، *وظيفة الصورة الفنية في القرآن: سورية/حلب*، فصلت للدراسات والنشر، ط1 - 2001 م .
- الزجاج، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق المتوفى: 311هـ ، *معاني القرآن وإعرابه*: تح: عبد الجليل عبده شلبي، بيروت، عالم الكتب، ط1 - 1988م .
- الزرقاني، محمد عبد العظيم ت 1367هـ ، *مناهل العرفان في علوم القرآن*: مصر، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ط3، د.ت .
- الزركشي، محمد بن عبد: الله بن بهادر ت 794هـ ، *البرهان في علوم القرآن*: تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، مصر، دار إحياء الكتب العربية مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط1، 1957م
- السامرائي، فاضل بن صالح، *لمسات بيانية نصوص من التنزيل: الأردن/عمان، دار عمار - ط3 - 2003 م* .
- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله المتوفى: 1376هـ ، *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*، تح: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 1420هـ - 2000 م .
- السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم ت: 373هـ : بحر العلوم: د.م. ط، د.ت .
- السمعاني، منصور بن محمد بن عبد الجبار ت 489هـ ، *تفسير القرآن*: تح: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس، الرياض/السعودية، دار الوطن، ط1 - 1997م .
- السمين الحلبي ت 756 ، *عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ*: تح : محمد باسل عيون السود دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1417 هـ - 1996 م.
- سيد قطب، إبراهيم حسين الشاربي ت 1385هـ ، *في ظلال القرآن*: بيروت/القاهرة، دار الشروق، ط17 - 1412هـ .

- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ت 911هـ ، الدر المنثور في التفسير بالمأثور: تح: مركز هجر للبحوث والدارسات، مصر/السعودية، دار هجر للطباعة والنشر 2003م .
- الشافعي، محمد بن إدريس القرشي الهاشمي ت 204هـ ، تفسير الإمام الشافعي: جمع وتحقيق ودراسة: أحمد بن مصطفى الفران، المملكة العربية السعودية، دار التدمرية، ط1 - 2006م .
- الشهري، أحمد بن حمدان، عوامل النصر والتمكين في دعوات المرسلين: السعودية، موقع وزارة الأوقاف السعودية .
- الشوكاني، محمد بن علي ت 1250هـ ، فتح القدير = تفسير الشوكاني: دمشق/بيروت، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، ط1 - 1414هـ .
- الشيباني، أحمد بن حنبل أبو عبد الله المروزي ت 241هـ ، المسند: تح: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد وآخرون، بيروت، مؤسسة الرسالة ، ط1 - 2001م .
- الطبري، محمد بن جرير ت 310هـ ، جامع البيان في تفسير القرآن = تفسير الطبري: تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مصر/السعودية، مركز هجر للبحوث والدراسات، ط1 - 2000م .
- العسكري، الحسن بن عبد الله، أبو هلال ت 395هـ ، الفروق اللغوية: تح: محمد إبراهيم سليم، القاهرة، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، د.ت.ط .
- عlish متولي بدوي البني: موسوعة تفسير سورة يوسف عليه السلام، الكويت، الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية، د.ت.ط .
- الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي ت: 207هـ : معاني القرآن، تح: أحمد يوسف النجاتي / محمد علي النجار / عبد الفتاح إسماعيل الشلبي مصر، دار المصرية للتأليف والترجمة، ط1، د.ت .

- الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب أبو طاهر ت 817هـ ، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: تح: محمد علي النجار، القاهرة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، 1996م .
- قدامة بن جعفر أبو الفرج البغدادي، نقد النثر: بيروت، دار الكتب العلمية، 1980م .
- القرافي، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقرافي ت 684هـ ، الفروق = أنوار البروق في أنواء الفروق : بيروت، عالم الكتب، د. ت. ط .
- القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر، الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي: تح: إبراهيم أطفيش أحمد البردوني، القاهرة، دار الكتب المصرية، ط2 - 1964م .
- القشيري، عبد الكريم بن هوازن ت 465هـ ، لطائف الإشارات = تفسير القشيري: تح: إبراهيم البسيوني، مصر، الهيئة العامة للكتاب، ط3، د. ت .
- قلعة جي ، محمد رواس ، قنبيي حامد صادق ، معجم لغة الفقهاء، بيروت، دار النفائس ، 1408هـ، 1988م .
- الماتريدي، أبو منصور محمد بن محمد بن محمود ت 333هـ ، تفسير الماتريدي تأويلات أهل السنة : تح: د. مجدي باسلوم بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1426 هـ - 2005 م .
- الماوردي، علي بن محمد بن محمد ت 450هـ ، النكت والعيون = تفسير الماوردي: تح: السيد ابن عبد المقصود، بيروت، دار الكتب العلمية، د. ت. ط .
- المجددي البركتي، محمد عميم الإحسان، التعريفات الفقهيّة، بيروت، دار الكتب العلمية، 1407هـ - 1986م ، ط1، 1424هـ - 2003م .

- مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري ت: 261هـ , المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ, تح: محمد فؤاد عبد الباقي بيروت, دار إحياء التراث العربي
- النجار، محمد الطيب: تاريخ الأنبياء, الرياض, مكتبة المعارف, 1403-1983 .
- الواحدي, أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي النيسابوري الشافعي ت: 468هـ : الوسيط في تفسير القرآن المجيد, تح: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، أحمد محمد صيرة، أحمد عبد الغني الجمل، عبد الرحمن عويس بيروت, دار الكتب العلمية, ط1, 1415-1994 .
- يقطين، سعيد: قال الراوي , البنيات الحكائية في السيرة الشعبية, الدار البيضاء/ المغرب, المركز الثقافي العربي, ط1, 1997 .

KİŞİSEL BİLGİLER

Adı Soyadı	Bushra Sabhan Kalaf ALDOUR
Doğum Yeri	
Doğum Tarihi	

LİSANS EĞİTİM BİLGİLERİ

Üniversite	Tikrit Üniversitesi
Fakülte	Kız Eğitim Koleji
Bölüm	Kuran Bilimleri

YÜKSEK LİSANS EĞİTİMİ

Üniversite	Çankırı Karatekin Üniversitesi
Enstitü	Sosyal Bilimler Enstitüsü
Anabilim Dalı	Temel İslam Bilimleri

İLETİŞİM

Adres	
E-mail	